الغزو العربي لمصر

علاء حامد



الغزو العربي لمصر

علاء حامد

فهرس

تقديم

تنمر العرب لغزو مصر بعد أن جمح خيالهم في خيراتها ونـسائها مـن خـلال كـراهيتهم وحسدهم للمصريين علي حضارتهم ورخاء بلادهم.. يتنمرون لها مثل ذئب مفترس آت من الـصحراء كل همه التهام الفريسة.. أكثرهم رغبة وأشدهم حماساً في تمزيق الفريسة وإلتهامها عمـرو العـاص هولاكو العرب الذي تناثرت حوله القصص والروايات ونسجت بخيوطها أساطير كثيرة وقد توقد خياله بقصة الرسول مع المقوقس عن دما أرسل له رسله فأهداه مارية القبطية ورغم أنه أنجب منهـا ابنـه إبراهيم إلا أنه لم يتزوجها في الوقت الذي تزوج مثيلتها من اليهود بل أنه ألح كثيـرا علـي زواج " ريحانه " بنت عمرو أحد نساء يهود بني قريظة ليتزوجها بعد أن اصطفاها لنفسه كأحد السبايا لكنهـا رفضت عرضه وأبت إلا اعتناق اليهودية وكان الرسول قد غزا بني قريظة بعـد حـصارهم خمـس وعشرين ليلة استسلموا بعدها فقتل حوالي تسعمائة من محاربيهم بسيفه داخل خنادق حفرها المسلمون و سبي نسائهم وأطفالهم وقسم أموالهم.. في هذه المجزرة لأول مرة يقتل الرسول إمرأة كانت تـسخر منه أثناء قتله لأهلها!!

إن كراهية العرب للمصريين ليست سوى صدى لآيات القرآن الكريم التي وصـفتهم بـأحط الأوصاف " قوم فاسقون " القصص ٣١ والزخرف ٥٣ " مفسدين " الزيتون ٣٥ " ظالمين " النمل ١١، ١٣ " مجرمون " الدخان ٢١ " كافرون " المائدة ٤٣ " مستكبرين " الفرقـان ٣٥ " يـذبحون أبنـائهم ويستحيون نسائهم " البقرة ٤٨.. وكلها صفات منحطة ليست كريمة.. هذه الصورة المشينة انطبعـت عن المصرين في أذهان العرب.. فكيف يحب الإنسان من يحمل هذه الصفات الخبيثة لهذا كره الأوائل العرب المصريين.. هذه الكراهية الممزوجة بالاحتقار ظلت علي حالها حتى اليوم في تعاملات العرب مع المصريين الذين يعملون في دول الخليج خاصة السعودية والكويت.

تواترت الروايات حول غزو عمرو العاص لمصر لكن لا شك أن ديماكس " حاكم منف والذي حور العرب إسمه للمقوقس قد ساعد العرب في غزوها لسببين أولهما لأنه كان يعتقد أن دين العـرب الوحداني هو شبيه لدينهم المتوحد والذي يؤمنون من خلاله بتوحد المسيح مع الإلـه.. الإبـن والأب والروح القدس والثاني انتقاما من الرومان حكام مصر آنذاك.. اتفق المقوقس مع عمرو العاص علـي إمداده بالقوات والمؤن والمعلومات حتى يستكمل غزو مصر دون أى إلتزامات من الجانب الآخـر.. وهو بهذا يعتبر خائن لوطنه ولشعبه وهو يساعد غازي أجنبي علي احتلال مصر حتى ولو كان هدفه إجلاء الرومان.. فقد كان عليه أن يقاوم المحتل الروماني لا أن يساعد محتلا أخـر أكثـر شراسـة ودموية وتعصبا وعنفا.. كانت الإسكندرية ثاني عواصم الإمبراطورية البيزنطية في تحـصينها وفـي

تجارتها وكان علي عمرو الإستيلاء عليها حتي يأمن علي نفسه وعلي جيوشه في مصر وحاول في البداية ان يدفع أهلها للتسليم عن طريق إرهابهم بقوته الضاربة وانتقامه الدموى وساعده المقوقس ليحمل الروم علي الرضاء بالجزية فيحفظون أنفسهم وأموالهم مقابل دينارين يدفعونها سنوياً عن كل شاب إلا أن كلام المقوقس لم يجد صدى لدي المصرين والرومان واتهموه بخيانة الوطن وتسليمه للغازي العربي الجديد عمرو العاص.. من هنا لم يكن أمامه سوى طريق السيف رغم أنه كان يعرف أن الإسكندرية محصنة تحصينا جيدا وأنه من الصعب اختراقها لذلك بدأ بضرب المدينة بالمنجانيق واستطاع بعد قتال شرس قتل فيه ثلاثة وعشرين ألف قالوا عنهم شهداء رغم أنهم كانوا غزاة معتدين بينما قتل من المصرين حوالي خمسين ألف شهيد وهم يقاومون الغزو العربي.. السبب في هذا التباين أن المصريين كانوا يدافعون عن وطنهم بعكس العرب الذين كانوا يعتدون. بعدها كتب عمرو العاص إلي عمر الخطاب ينبئه خبر احتلال العرب للإسكندرية " أما بعد فقد غزوت مدينة الإسكندرية العظمي ولا أراني أستطيع أن أصف ما فيها من خير إني أصبت أربعة آلاف بنية بها أربعة آلاف حمامة وأربعمائة ملهي واثني عشر بقال يبيعون البقل الأخضر وسبعين ألف يهودى فرضت عليهم الجزية وقد فتحت المدينة عنوة وبدون عهد " معاهدة " والعرب المسلمين يطلبون مني قسمتها فيها بينهم ويلحقون في الطلب" لكن عمر الخطاب رفض تقسيمها وطلب من عمرو العاص أن يكون خراجها فيئا للمسلمين وقوة لهم علي جهاد عدوهم.. من كتابي عمرو العاص وعمر الخطاب يتضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن العرب عندما غزت مصر لم يكن يعنيها مسألة نشر الإسلام بل كل ما كان يشغلها هو اقتسام خيراتها أو أن يكون خراجها فيئا للمسلمين وقوة لهم علي جهاد عدوهم.. الكلام إذن عن توصيف الغزو العربي بفتح إسلامي والضرب علي وتره ليس سوى مضيعة للوقت ونفخ في بالونه سرعان ما تنفجر.

انبهر عمرو العاص بحضارة الإسكندرية وبيوتها ومعمارها وجمال تنظيمها فقد كانت ثاني أحد عواصم الإمبراطورية البيزنطية فقرر أن يسكنها ويتخذها مقرا لجنوده المسلمين.. إلا أن عمر الخطاب الذي كان يقطن في المدينة بيتا بسيطاً من الطين وسعف النخل رفض ذلك وكتب له " إنني لا أحب ان ننزل بالمسلمين منزلا يحول بيني وبينهم شتاءا أو صيفا فمتي أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت " ذلك أنه كان في اعتقاد عمر الخطاب مع جهله بالخرائط وتضاريس مصر أن النيل سيقف عائقا بينه وبين الوصول إلي جند عمر العاص في الإسكندرية..لذلك سكن المسلمون العرب مدينة الفسطاط وأقاموا فيها وما لبث أن أجبرو الروم في الصعيد علي التقهقر بعد معارك عدة أشرسها تلك التي دارت في البهنسة وقتل فيها كثير من المسلمين والقبط حتي أطلق عليها مدينة الشهداء نسبة إلي قتلي القبط لكن في النهاية ستظل خيانة المقوقس للمصريين وصمة لن تمحوها أية

تبريرات لفظية بإعتبار الغزو العربي فتح.. فاستبدال كلمة باخري لا يغير الواقع أن العـرب الهمـج غزت مصر وأن المقوقس ساعد الغزاة علي احتلال مصر بدلا من الرومان.. نعم الإنسان يتحالف مع الشيطان حتي يحرر وطنه لا أن يستبدل محتلا بآخر.. وهذا ما حدث فقد سـاعد المقـوقس عمـرو العاص وهو يحتل مصر طالبا منه أن لا ينقض للقبط عهدا بسبب قتال قبط الاسكندرية له وأن يقـوم بدفنه في كنيسة القديس يوحنا فما كان من عمرو إلا أن رد عليه قائلا " أما هذه الأخيرة فايسرهم علينا " وهو بهذا رفض أن يتعهد للقبط بأي عهد!!

لكن قبل أن يفكر عمرو العاص في غزو مصر واحتلالها ماذا كان رأي العرب المسلمين في المصريين.. الواقع أن معلوماتهم عن مصر القديمة كانت ضحلة.. استقوها من التوراة والعهد القديم.. وتشبعت هذه الضحالة بآيات القرآن التي وصمت المصريين بأحط الصفات.. فهم مجرمون فاسـقون مفسدون ظالمون مستكبرون يستحقون التدمير.. والسؤال كيف تستقيم هذه الأوصاف مع شعب تـسيد العالم القديم وكان له شرف قيادته وريادته في كل مناهج الحياة.. وهل بهـذه الأوصـاف المذمومـة يستطيع أن يتفوق علي نفسه وعلي جميع شعوب الأرض؟! والحقيقة أننا لا نعرف سبب هذا التجنـي فالمصريون أصحاب حضارة عريقة ولا يستحقون إهانتهم والحط من قدرهم بهذه الصورة المزريـة.. فالذي يستحق أن يوصف بهذه الأوصاف هم العرب الذين كانوا يعيشون مجتمعـا قبليـا.. متقـاتلا.. متنافرا.. رعويا بدائيا.. كل همه الإغارة وسبي النساء والأطفال.. طعامهم وبر الجمال مغموسا فـي الدم وأظلاف الحيوانات.. الذي يستحق ذلك هم العرب قاطني الخيام وبيوت الطين ولـيس أصـحاب القصور ومشيدى الأهرامات ومبدعى الكتابة والفنون والصناعة.. أين كان موقع العرب من خريطـة التاريخ أيام قدماء المصريين.. بالتأكيد كانوا زبالة الأمم.. أنه لا يشرف الملايين من المصريين وأنـا واحد منهم الإنتساب للعرب كما لا يرفع من شأنهم التفاخر بالأصل العربي.. فكل ما يجمع المصريين بالعرب هو الديانة واللغة فيما عدا ذلك فنحن علي اختلاف جذري معهـم.. حـضارتنا ليـست مثـل حضارتهم.. فلسفة حضارة مصرنا القديمة عمادها الضمير والتسامح.. فمن كان يقتل أحد أقاربه حتي الدرجة الرابعة عليه أن يحتضن ضحيته مدة أربعة أيام يراه الغادى والرائح قبل أن يفتـرق عنهـا.. حضارتنا القديمة تقوى دعائم الضمير والتسامح أما حضارتهم فأسسها التعـصب الأعمـي والإنتقـام والقتل والتدمير والصلب وتقطيع الأيادى والأرجل.. فالسن بالسن والذكر بالـذكر والأنثـي بـالأنثي والبادي أظلم لقد شبعنا أحاديثا عن تسامح الإسلام وعفوه حتي تحولت الأحاديث إلي مجـرد شـماعة نعلق عليها العنف والإرهاب لا لسبب إلا لنظهر غير ما نبطن لأن فلسفة التسامح لـديهم ضـعف و منطق العفو استسلام.

أن النصوص التي توصم المصريين وتحط من قدرهم وتحض علي كراهيتهم هي في الحقيقة تحتاج لتفسير يكسر حدة التعصب وقد يكون من الملائم النظر في حذف تلك المقاطع إذا عجزنا عن الوصول إلي مثل هذا التفسير!! ولم تكن تلك النصوص هي الوسيلة الوحيدة للتعرف علي المصريين بعد أن شوهت صورتهم بل ألهب خيال العربي القرشي الأخبار التي تتوارد عنهم وعن ترفهم ورفاهيتهم وحلاوة نسائهم وجمالهن وطراوتهن.. فالحياة التي تخيلوها في جنتهم هي نفس الحياة التي كان يعيشها المصريون.. انهار والبان وأشجار وأراضي خضراء تنبت النوى وحور عين.. فشتان ما بين نهر النيل العظيم وبئر زمزم الضنين بالماء.. لم يكن العرب لندرة المياه يعرفون الاستحمام إلا نادرا وبالتالي لا يعرفون معني النظافة الشخصية لذلك فقد شرع الوضوء والإستحمام حتي يتعود العرب علي عادة التنظيف بعد أن فاحت رائحتهم الكريهة.. ورغم هذا فلم تتأصل فيهم حتى الآن هذه العادة رغم توفر الماء والشامبوهات.. شعب كهذا كان يلقى بمخلفاته كالقطط في الخلاء رجاله ونسائه – ويمسح الإلية بطوبة أو بقليل من التراب وربما لا يمسحها بالتأكيد مثل هذا الشعب سيلتهب خياله بالحديث عن الحدائق الغناء الورافة الظلال والماء الرقراق الذي يجري جداولا وأنهارا والنساء المصريات السمان غلاظ الأرداف.

كانت هذه الأحاسيس تخالجهم وهم يزحفون إلي مصر ممنين النفس بأكله دسمه وشربة ماء طيبة وامرأة هيفاء تؤنس وحدتهم وتعوضهم عما قاسوه من أهوال الحروب.. ما بين العرب والمصريين فروق حضارة مسافتها مئات السنين.. هذه المسافة باقية حتى اليوم رغم الإنحطاط السياسي الذي تعيش فيه الأمة المصرية بقيادة مبارك الديكتاتور الأعظم.. فهو إنحطاط مؤقت سيزول متي انقشعت عن رؤوسنا الضبابة الإسلامية السلفية.. ذراتها قضاء الحاجة في الوسعة ولحية يشغي فيها القمل وحجاب حاجز للمرأة عن التحضر ورمى الشيطان بالجمرات.

لا غرابة إذن وكنتيجة حتمية لاختلاف الحضارتين في كراهية العرب للمصرين وقد نضحت أقاويلهم بهذه الكراهية الفجة.. لقد ظن العرب بعد غزوهم لمصر إنها لقمة سائغة.. سرعان ما يتم هضمها هي وناسها لكنها بقيت بكفاح شعبها عظمة في حلق الغازي العربي.. نعم دفع المصريون الجزية عن طيب خاطر مع ما فيها من معاني الإستسلام والضعف والخنوع.. فضل المصريون دفع الجزية عن الدخول في الإسلام لأنهم كانوا متمسكون بدينهم وعقيدتهم لكن مع إرتفاع الجزية بدأوا يتمردون علي هذا الواقع الجديد والغزاة العرب يستولون علي دخولهم خاصة بعد أن تأكد لهم أن إلهم المتوحد خلاف الإله الواحد الذي تؤمن به قريش وتعمقت جذور الكراهية للغازي العربي الذي بدأ يدلي برأيه في مصر والمصريين عن لسان الخاصة فعمرو العاص يقول عن مصر " أرضها ذهب ونساؤها لعب وهي ورجالها لمن غلب " وهو أيضا القائل "مصر أرض قوراء غوراء ذمها أكثر من

قدحها.. هواءها كدر وحرها زائد وشرها مائد تكدر الألوان والفطن وتركب الإحن.. تسمن الأبدان وتسود الإنسان! في أهلها رياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مسكن " هذا هو رأي هولاكو العرب نساء المصرين لعب يتلهى بها المستعمرون العرب ورجالها ملكا لمن غاب فهي ليست ملك أهلها بل هي ملك الغزاة.. وربما هذه المقولة فيها شيء من الحقيقة إذا ما حاولنا تطبيقها علي عصر العسكر بعد ٥٢ رغم أن حكامها مصريين إلا أنهم لم يفترقوا كثيرا عن الغزاة فقد ملكوا البلد وما عليها.. ثلاثة حكام استطاعوا أن يستعمروا البلد استعمارا شديد السمية مثل رياح السموم بالحديد والنار.. اغتالوا كل متعارض.. واعتقلوا كل متخالف حولوا مصر إلي سجن كبير هم سجانها.

وإذا انتقلنا من عصر هولاكو العرب إلي عصور متأخرة لنعرف رأي العرب في المصريين نجد عجبا.. لقد جاء علي لسان معاوية السفيان " في مصر ثلاثة أصناف الثلث ناس والثلث يشبه الناس والثلث لاناس فأما الناس فالعرب والثلث الشبيه بالناس الموالي أما ثلث لاناس فهم القبط! تقسيم متعصب ظالم جارح فالعرب هم البشر يليهم طبقة الموالي أي المسلمين المصريين أما القبط فهم لاناس.. وهذا اللفظ يندرج تحت حكمه الأشياء أو الحيوانات. أو ربما يندرج تحت بند اللاشيء.. أو ليس هذا حكماً جائراً أن يصفنا معاوية السفيان بأننا أدني من البشر.. لكن مثل هذا الحكم لن يكون غريبا لو قرأنا رأي كعب الأحبار حيث يقول " مصر أرض نجسة كالمرأة العازل يطهرها النيل كل عام وشر نساء علي الأرض نساء أهل مصر " ولا ندري لماذا يصف نساءنا بأنهم شر نساء الأرض ربما عاش تجربة امرأة أذلته.. وربما خسر معركة الفراش معها لكن ما نراه نحن هذا التحامل الغريب علي وطننا وهو يصمه بالنجاسة وعلي نسائنا وهو يتهمهن بالشر.. ولم تكن هذه هي الأراء الوحيدة التى قيلت في حق مصر فها هو بن عباس يقول " المكر عشرة أجزاء تسعة منها في القبط وواحدة في سائر الناس " وعلي أي الأحوال إذا كان المكر ذميمة فأشد منها السذاجة والعبط!! أما عبد ا عمرو فقد أتى عاليها واطيها هو يقول " لما هبط إبليس فرخ بمصر " أي أن المصريين كلهم نتاج إبليس!! كل ما قاله العرب في حق المصريين شاذ لكن أقسي الاقوال ما جاء علي لسان يزيد بن حبيب وأبو الصلت فمن أقوالهم " أهل مصر عبيد لمن غاب أجهلهم كبارا.. أهل مصر سمر لأنهم أولاد عبيد سود نكحوا نساء القبط "أن الغالب في أخلاق المصريين اتباع الشهوات والإنهماك في الملذات و الإشتغال بالترهات وتصديق المحالات وضعف السرائر ولهم خبرة بالكيد" هذا هو بعض ما قيل من رجالات العرب عن المصريين وأخلاقهم وليس هذا بغريب فقد سبقهم القرآن وهو يوصم المصريين بأحط الصفات.

الفصل الأول

بدايات الغزو العربي لمصر

يقف أي كاتب حائراً بين روايات عدة تناولت بدايات الغزو العربي لمصر ذلك أن كثيراً مـن تلك الروايات قد أسقطت عمدا بعض الحقائق في محاولة لتشويه التـاريخ بإظهـار بطولـة العـرب المسلمين وتشويه صورة المصريين الخانعين المستسلمين.. لذلك ليس أمام أي محقق للتاريخ للتثبـت من صحة تلك الروايات سوى استعمال العقل البحثي الذي يرفض الخرافة و الخزعبلة ولا ينطبق هذا فقط علي حقائق الغزو العربي لمصر بل يتجاوزه إلى كل ما يتعلق بنصوص الشريعة وسيلتنا للتحقق من صحتها هو اتساق النص مع المفهوم العقلي لا منزلة ناقل النص الرفيعة أو صلته بالرسول بحيث نرجح الحكمة من النص علي هوية الناقل خاصة وأن كثيرا من النصوص قد تم تحريفها علي أيـدي كثيرين نذكر منهم أبي هريرة ومحمد إبن أبي حذيفة الذي كان يؤلف الأحاديث النبوية ثم يدعي أنهـا قيلت علي لسان زوجات النبي وكذلك عبد ا سعد إبن أبي السرح كاتب الرسول والذي غير وبدل في الآيات حتى أن العقل البحثي تتملكه الحيرة أمام كثير من الآيات التي يطالعها حول قائلها!! نستطيع إذا خلعنا عن غزو مصر ثوبه الفضفاض وقد نسجه الخيال أن نحدد ملامحه فالعرب الهمج كانوا يتوقون لمصر ولغزوها فما إن بلغوا حدود فلسطين حتى تملكتهم شهوة الغزو فأمامهم ثمرة جاهزة للقطـف.. في سنة ٦٣٨ م بعد أن إستتب الأمر للعرب باستسلام بيت المقدس وزيارة عمـر الخطـاب حاولـت الدول البيزنطية استرداد سوريا وطرد العرب منها فسارت جيوش كبيرة من الإسكندرية إلى إنطاكيـة التي فتحت لها أبوابها وما إن انتشر خبر هذا الانتصار في باقي مدن الشمال حتى انتفضت شعوبها في ثورة عارمة ضد الحكم العرب.

فاستدعي أبو عبيده الجراح قائد القوات المرابطة في سوريا جميع الحاميات العربية المنتـشرة داخل القلاع والحصون السورية الجنوبية ثم بعث رسلا إلى الخليفة يطلب إمداده بالرجال والـسلاح.. في التو أمر عمر الخطاب سعد وقاص قائد قوات العراق بنجدة عبيده الجراح فأرسل إليه مددا تحـت قيادة " القعقاع" بطل القادسية..لكن مواطني سوريا إنضموا لقوات الروم المهاجمـة وقبـل أن تـصل النجدة عقد أبو عبيده مع أركان جيشه اجتماعا حربيا انتهي بتغليب رأي قواده علي رأي خالد الوليـد الذي اقترح الخروج من حمص و ملاقاة الأعداء.. تحصن أبو عبيده وجنده بالمدينة حتى يصله الإمداد وحاصرهم الروم و اشتد عليهم الحصار مما دفع عمر الخطاب إلى استعجال المدد بنفسه فخرج مـن المدينة إلى الجابية ليقود بنفسه إمداد الجيش إلى الشمال.. لكن قيام العرب أثناء سيرهم بـالقتل وتدمير البيوت وحرق كل ما يقابلهم بث الرعب في قلوب البدو خوفا علي أهلهم فتخلوا عن الروم مما دفع أبو عبيده وخالد الوليد بالخروج من حمص علي رأس الجيش العربي وقاتلا الروم قتـالا شـديد انتهـي بهزيمتهم وتراجعهم حتى قبل أن تصل إمدادات العراق بعدها حاصر عمرو العاص "قيصرية" وتمكن من اقتحامها بمساعدة يهودي خائن دلهم علي نفق استطاعوا النفاذ منه إلى قلب المدينة..لكن في هـذه

السنة..الخامسة من خلافة عمر حدث جدب شديد قضي علي نصف شبة الجزيرة العربيـة الـشمالي فنفقت الدواب وندرت المحاصيل مما دفع عمر الخطاب لوقف زحفه الخارجي والتركيز علي تخفيـف هـذه المجـاعة بإرسـال الحنطة والغلال إلى هذا الإقليم.

وما كادت هذه الدولة الحديثة تخرج من أزمة المجاعة إلا وأصابها وباء الطـاعون.. انتـشر أول الأمر بين جنود العرب في حمص ودمشق وفتك بهم فتكا ذريعا قبل أن يصيب الأهالي.. مصدر هذا المرض القذارة والجثث المتعفنة ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي أصاب فيها الطاعنون هـذا الجزء من العالم الوحيد.. فقد أصاب قبلا الرومان عندما حاصروا اليهود الثائرين في أورشليم بقيادة " فسياسيانس " و " طيطس " إبنه وكذا طاعون أبى عبيدة المعروف بطاعون " عمراص" وطاعون محمد أبو الدهب الذي قضي عليه وهو يحاصر أسوار عكا وطاعون بونابرت بعد استيلائه علي يافا وقتلـه آلاف الأسرى الذي أخلوا بشروط التسليم في العريش وعادوا لقتال الفرنسيين أثناء حربهم مع أحمـد باشا الجزار.

ولما اشتدت وطأة المرض علي الجنود العرب أشار عمر علي أبى عبيده بالانتقال بجيشه إلى جبال حوران إلى أن تجف ينابيعه بل ورفض أن يزور تلك المناطق الموبوءة فسأله أبو عبيده " إفراراً من قضاء ا يا أمير المؤمنين " فأجابه قائلا.. " بل فرار من قضاء ا إلى قضاء ا تيمنا بقـول ا سبحانه وتعالي ولا تلقوا بأنفسكم للتهلكة ".. ونفذ أبو عبيده أمر عمر الخطاب لكنه ما كاد يبلغ الجابية حتى مات هو وابنه بالطاعون ومات معهما " معاذ " خليفته وكذلك يزيد أبى سفيان والي عمـر علـي دمشق وقضي الوباء أيضا علي أربعين إبنا من أبناء خالد الوليد.. وبسبب هذا الوباء رحـل عمـرو العاص بجيشه إلى أعالي الجبال خوفا منه وظل هناك حتى انتهت المحنة.. بعدها زار الخليفة عمـر الخطاب سوريا لتنظيم أمورها وترتيب شئونها وتحديد من تؤول إليه ممتلكات صرعي الوباء ثم عين معاوية السفياني حاكما عاما علي سوريا قبل أن يستعد للعودة إلى المدينة و أثناء عودته فاتح عمـرو العاص الخليفة في أمر غزو مصر و ألح عليه وذلك لتأمين حدود الشام من غزو الروم وهـو بهـذا ضرب علي الوتر الحساس للخليفة الذي كان هو الآخر يفكر في هذه الخطوة.. لذلك عقد اجتماعاً مـع أركان حربه واستشارهم في أمر الغزو.. وقام عمرو بعرض وجهه نظره واستند فيها إلى ضـرورة تأمين حدود الشام وفلسطين من الرومان فضلا عن خيرات مصر الكثيرة وقال في معـرض حديثـه "ولئن تملكنا مصر يا أمير المؤمنين - نلاحظ هنا ذكره كلمة تملكنا - فلن تتألم بلاد العرب قـط مـن جدب يصيبها ومع أن مصر أكثر بلاد الأرض رخاء فهي أعجزها عن القتال والحروب ففتحهـا إذن سهل ويورث المسلمين قوة ويكون عونا لهم " ورغم موافقة عمر علي ما أبداه عمرو العـاص مـن حجج إلا أنه تحفظ علي الوقت الملائم لهذه الغزوة ذلك أن الطاعون قد قضي علي كثير مـن الجنـد

وبالتالي فليس في استطاعة البقية الباقية القيام بغزو جديد إلا أن عمرو العاص بسط الموضوع بأن قوة الروم بدأت تتلاشى وأنه سيباغتهم بغزو لا يتوقعونه فضلا عن أن أقبـاط مـصر يكرهـون الـروم وسينضمون إلي المسلمين العرب عند غزوهم لها.. ولما اقتنع عمر بالعرض الذي أبداه عمرو العاص وافق علي غزو مصر ووضعه قائدا للجيش متجاهلا خالد الوليد غيرة منه علي انتصاراته في الـشام وخوفا من افتتان العرب به والانقلاب ضده.. كما فعل مبارك مع أبو غزالة و "إبراهيم لـنكلن مـع " ماك للن " قائد قوات الشمال في الحرب الأهلية الأمريكية عندما عزله رغم انتصاراته.. ومـن بـين الأسباب التي دفعت عمر الخطاب بتعيين عمرو العاص قائدا علي الحملة انه كان يـضع فيـه ثقتـه خاصة بعد انتصاره في واقعه " أجنادين " التي فتحت للعرب طريق أورشليم وقيصرية.. أخذ عمـرو العاص أهبتة بعد حصوله علي موافقة عمر الخطاب وبدأ الاستعداد لغزو مصر بقوات قليلـة العـدد والعدة والتي اختلفت الروايات في عددها.. لكن بعد عودة عمر الخطاب إلي المدينة بدأت الهـواجس تتمكن منه وهو يستعرض موقف قوات الغزو العربي في كافة البلدان.. في الشرق كان القتال دائـرا بعنف بين " يزد جرد " كسري إيران وبين العرب.. وكان القتال شرسا من الفرس فهم يدافعون عـن وطنهم ضد الغازي العربي.. وأيضا كانت بلاد الشام في الشمال مازالت ملتهبة بالثورات وانتابه الشك والتردد في نجاح هذا الغزو وبتلك الأعداد القليلة من العسكر بل وأفصح بذلك أثناء اجتماعه بعثمـان عفان وعلي طالب و الزبير العوام أثناء استشارتهم في أمر الغزو فنصحوه أن يرسل خطابا إلى عمرو العاص يطلب منه العودة إذا لم يكن قد تخطي حدود مصر فلما أتاه الخطاب أدرك بفطرتـه مغـزى الخطاب في تلك اللحظات الحرجة ولم يكن قد دخل مصر بعد ولما تأكد له أنه اصبح داخـل حـدود مصر فتح الخطاب أمام قواده واستمر في غزوته منضما إليه بدو سيناء طمعا في أسلاب المصريين.. وبدأ الزحف العربي إلى " الفرما " وساندهم الأقباط فلم يجدوا مشقة كبيرة في غزوها بعـدها اتجهـوا نحو بلبيس.. صدم الروم بمفاجأة الغزو وسيروا جيشا بقيادة " أرتابون " قائد واقعة أجنادين لكنه قتـل وانهزم جنوده فتقدم عمرو إلى بلبيس وحاصرها حصارا شديد الوطـأة.. وعنـدما وصـلت أخبـار الانتصارات عمر الخطاب قرر أن يساند جيشه الغازي فسير إليهم أربعه آلاف جنـدي سـرعان مـا أكملهم إلى ثمانية آلاف لتعزيز قوة عمرو العاص وعلي رأسهم الزبير العـوام وعبـادة الـصامت و المقداد الأسود ومحمد مسلمة وأبو الدرداء عويمر وكلهم من محاربي غزوة بدر واستطاع عمرو بهذا المدد أن يخترق أسوار بلبيس ويجبر أهلها علي الاستسلام بشروط مريحة.. منها تأمين حيـاة أهـل المدينة وحاميتها ولم يمكث في بلبيس سوى أيام قليلة تقدم بعدها نحو منف عاصـمة مـصر مـرورا بصحراء الإمام الشافعي وكان عليه قبلها الاستيلاء علي حصن بابليون الذي يحيطه النيل من جانـب وخندق عميق محفور حول بواقيه واستطاع هو وجنوده في جلد ومثـابرة بعـد أن قـذفوا الحـصن

بالمجانيق جمع منجنيق أن يستولوا عليه بعد أن تطوعت فرقة من فرق الموت باقتحامه وعلي رأسـها الزبير العوام فهربت حامية الروم إلى منف بعد عبورهم نهر النيل علي جسر خربوه فور عبـورهم.. كان حاكم منف "ديماكس " المقوقس كما كان يسميه العرب وهو الذي أرسل لمحمد ماريـه القبطيـة والتي أنجبت منه إبراهيم ردا علي كتابه له بدخول الإسلام وقد اختلف الرواة في أصل هذا الرجل فقد ادعي البعض أنه رومي الأصل بينما أكد البعض الآخر أنه كان قبطيا مصريا صميما واسـتندوا فـي ذلك إلى رسالة محمد إليه حيث وجهها إليه بصفته "عظيم القبط".. لكن الذي لا ريب فيـه أن الرجـل كان مصريا قبطيا وكان رئيسا أو محافظا لمدينة منف مثل فتحي سعد الآن محافظ الجيزة.. ولم تكـن تحوير هذا التسمية من " ديماكس " الرومية إلى "المقوقس " العربية إلا واحدة مـن تحـوير أسـماء المشاهير فقد حورو اسم " يودوين " ملك أورشليم إلى " بردويل " واسم لويس التاسع عشر ملك فرنسا إلى " ريدا فرنسيس " و " رودريج " أحد ملوك أسبانيا إلى " لذريق " وما فعله العرب قام به الغـرب فقد أطلقوا علي محمد " ماهومت وابن رشد " أفروئيس " " وابن سينا " افيسنّا وصلاح الدين الايوبي " سالادين.

بعد استسلام حصن بابليون وقبل أن يتمكن العرب من ترميم و إعادة كوبري نهر النيـل الـذي يفصل بين منف وجزيرة الروضة استسلم المقوقس وانسحبت حامية الروم إلى الإسكندرية بموجب اتفاق بين المقوقس وعمرو العاص تعهد فيه المقوقس بإمداد جيش العرب بالمؤن والمعدات والجنود في مقابل تأمين حياة المصريين و أرواحهم وأملاكهم.. واصل عمرو تقدمه دون أن يدخل منف بعد ترميم كوبري نهر النيل و إعادته للعمل لكن لعب لعبه خبيثة فقد أجبر وجهاء الأقباط المصريين علي مـصاحبته فـي تقدمه نحو الإسكندرية.. هدفه من هذا أن يكونوا بين يديه رهائن لو نقض القبط عهدهم معه بالاستـسلام له في نفس الوقت الذي أرسل عمر الخطاب مدداً أخر لقائدة حتى يستكمل مسيرته في الغزو.. وكانـت الإسكندرية ثاني أكبر مدن الإمبراطورية البيزنطية و أقواها منعة وتحصينا مثل العظمة في حلق الغـزو العربي.. وكان لا بد من قذف هذه العظمة حتى يأمنوا علي أنفسهم في مصر.. حاول عمرو في بدايـة حصاره لها أن يقنع أهلها بالتسليم وسيلته في ذلك المقوقس ورؤوس الحيات من أعوانه وفعـلا حـادث المقوقس الروم طالبا منهم الرضاء بالجزية والاستسلام دون ما جدوى فقد اتهمه بطريـق الإسـكندرية بالخيانة والعمالة وعندما عاد إلى عمرو وهو يرتجف من مغبة تصرف أهل الإسكندرية سـأله " و الآن أسألك ثلاثا ولا أخالك باخلا علي بهن " رد عمرو " اسأل " قال " أن لا يبذل للروم ما بذلت لنا فإني قـد نصحت لهم فاستغشوني وأن لا تنقض للقبط عهدا لما قد يقع من إخوانهم في الإسكندرية فانهم مرغمون وأن تدفنني في كنيسة القديس يوحنا بالإسكندرية الذي هو بها فلقد حببت ونفسي تتوق أن أدفن هنـاك " فرد عمرو مطمئنا إياه "وهذه الأخيرة أهونهن جميعاً" وهو بهذه الإجابة لم يعده إلا بالأخيرة..

بعد أن تأكد لعمرو فشل المقوقس في مهمة الوساطة بينه وبين الروم وشعب الإسـكندرية لـم يكن أمامه من وسيلة سوى اقتحام المدينة لكن كانت مهمته شبه مستحيلة فالحـصار لـن يجـدي لأن المدينة كانت محصنة تحصينا جيدا وكانت المؤن تأتيهم من البحر فـضلا عـن أن الأهـالي كـانوا متشبعين بإرادة المقاومة عن دينهم و أملاكهم وأولادهم ونسائهم خاصة وقد وصلتهم الأخبار الصحيحة عن العرب انهم كانوا لا يحفظون عهدا وكانوا يسبون النساء ويقتلون الأسرى ويـستعبدون الأطفـال بالإضافة إلى أن المدينة رغم شغلها مساحة لا تقل عن عشرة أميال لم يكن أمام العدو لاقتحامها سوى ثمانمائة متر فقط مكشوفة هذه العوائق الهائلة لم تفت في عضد عمرو العـاص بـل شـحذت همتـه وسرعان ما أطلق " المجانيق لتضرب أسوار المدينة وتدك أطرافها وخاصة بعد أن وصلته الإمدادات تشد من أزره وتقوى من عزمه.. وبعد أن خارت قوى الحامية الرومانية نتيجة انقطاع الصلة بيـنهم وبين رموز دولتهم أسقط في يدهم فهربوا بمراكبهم الراسية في ميناء الإسكندرية فاحتلها العرب بعـد أن مات منهم ثلاثة وعشرين آلفا.. وبغزو الإسكندرية أخر المعاقل لم يتبقى لعمـرو سـوى بعـض مناوشات من أهالي الصعيد مالبث أن سير لهم جيوشه فقضي علي تلـك المناوشـات أمـا هـرقليس الإمبراطور البيزنطي فقد توفي عقب سماعه سقوط الإسكندرية بعد أسابيع قليلة من نجاح الغزو.

الفصل الثاني

التعصب العربي ضد المصريين

في بداية حكم عمرو العاص جري العمل مع المصريين علي أن تكون الجزية دينارين عن كل شاب بالغ ليس فيهم امرأة ولا طفل ولا شيخ أي أن الجزية كانت تفرض علي الرأس الواحد وليس علي نتاج الأرض أو علي الدخل في مقابل عدم مصادرة الأرض أو المباني أو سبى النساء والأطفال علي أن يترك لهم حرية التعامل سواء كانت زراعة أو تجارة أو صناعة. كانت هذه أسس العلاقة بين الغزاة العرب والمصريين.. علاقة أحادية الجانب قائمة علي إرادة طرف واحد لا التزام عليه فقط مجرد وعد.. جزية مقدارها دينارين علي الرأس مقابل وعد بالأمان.. لكن لم يهنأ الشعب المصري طويلا بهذا الوعد بعد أن أرسل عمر الخطاب كتابا لعمرو العاص يطلب منه " أن أختم علي رقاب أهل الذمة بالرصاص وليظهروا مناطقهم وتجز نواصيهم ويركبوا علي الأكف عرضا ولا تضرب الجزية إلا علي من مرت عليه الموس دون النساء والولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم!! عمر الفاروق طلب من ابن العاص أن يتعامل مع المصريين كما يتم التعامل مع الدواب في المزارع فيختم علي قفاهم بالختم وأن تجز شعورهم مثل الخراف وان تقصر جلاليبهم حتى تختلف عن زى أسيادهم العرب.. وأن تركب علي أكفهم إشارة توضح هويتهم! أين إذن هي حقوق الإنسان؟!هذه الدعوى التي يتنادى بمثيلتها بعض المهاويس اليوم عنصرية غارقة في الفجاجة وتتخالف مخالفة شديدة مع نصوص شرعية.. لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى.. ربما مقصد النص هنا أن تطبيقه يقتصر فقط علي المسلمين منهم في هذه الحالة تصبح دعاوى التمييز هذه بين المسلم والقبطي دعاوى عنصريه مخالفة لأبسط حقوق الإنسان نعم قد يقول قائل

هذا عصر مر عليه أكثر من ألف وأربعمائة عام ونحن الآن في عصر آخر إذا كان هذا صحيحا فلماذا إذن الدعوى الباطلة التي نسمع في كثير من الأوقات فحيمها والتي تطالب بفرض الجزية علي المواطنين المصريين المسيحيين في القرن الواحد وعشرين أو ليس هذا نوع من العبط المحزن.. أو ليس هذا نوع من العته أو السفه وربما الجنون!! نعم الفاروق عمر الخطاب له عذره فهو لم يدرس في أحدى الجامعات الأجنبية أو المصرية مادة حقوق الإنسان ولا حصل علي الدكتوراة ولا حتى علي شهادة الابتدائية وربما لم يمكن يميز بين الألف وكوز الذرة وهذا ليس عيبا فيه فنحن نتفاخر بأمية الرسول وإذا حدث وتجرأ كاتب وأثبت صحيح التاريخ أن الرسول كان يستطيع الكتابة شويناه علي نار الأزهر الحارقة.. ما بال الناس.. ما بال علماؤنا الأفاضل وقد انساقوا وراء أكاذيب وأوهام وهم يتغنون مرة بأمية الرسول ومرة بحصانة أوامر عمر الفاروق العنصرية ضد المصريين ربما للفاروق أسباب وقد سبقه القرآن في الحط من قدر المصريين فهم مجرمون فاسقون وظالمون الخ.. الخ.. وربما لأن دعوته العنصرية كانت نابعة من تكوينه القرشي وتوهمه أنه من طينة أخرى أنقي من طينة المصريين النجسة وأدلة هذا أن العرب ما كانوا يعملون في الزراعة أو

الخدمات العامة فقط السياسة والحرب والتجارة أما دون ذلك من أعمال فيقوم بها العبيد.. وحتـى الآن ما زالت تلك الأفكار الخاطئة متغلغلة في العقل العربي مخيشة في ضميرهم.. في دول الخليج وخاصة السعودية يستعملون المصريين والأسيويين في الأعمال الخدمية حتي الحقول والمزارع يتعالون علـي أعمالها.. فأصحاب الأعمال يجلسون يفركون ما بين أصابعهم ثم يشتمون الرائحة النتنة بينما العبيـد المستأجرة تعمل في مهانة وإذلال حتي الفقراء من العرب يأنفون من هذه الأعمال ويفـضلون عليهـا التسول.. عريان الإليه يقف علي الناصيه ويقول باب الخمارة أين!! نعود بعد تلك الإسـتطرادة التـي تربط الماضي بالحاضر إلي عمر الفاروق الذي أمر عمرو العاص أن يختم علي قفـا كـل مـصري قبطي بالرصاص وأن يجبره علي إظهار هذا القفا ويلزمه بجز شعره وتقصير ثيابه إلـي مـا تحـت الركبة بقليل حتى لا يتشبه بالمسلمين ولم يكن سبب هذا كما علل بعض المؤرخين تخوف عمر علـي جيشه من الذوبان في الشعب.. فأي ذوبان هذا الذين يمكن أن يحدث نتيجة تـشابه الملبـوس وعـدم التمييز بين العربي والمصري.. إنما السبب يعود إلي التعـصب للجـنس العربـي دون غيـره مـن الأجناس.. اتجاه لم نسمع عنه أثناء الإستعمار الروماني أو العثماني لمصر.. من ثمار هذا التعـصب الأعمي الكراهية التي تولدت في نفوس الشعب المصري تجاه الإحـتلال العربـي.. وبـدأ التـشكك والخوف من العرب يفترس المصريين فابتعدوا عنهم وجاهروهم بالعداء.. وهذا ما دفع عمرو العاص إلي تحين الفرص لعقابهم والإنتقام منهم.. لذلك كانت إحدي أولويات أجندة العقاب تعقب ثروات أثرياء مصر في البر والبحر والجو!! إستنادا علي أن كل ما يخص المصريين من عقار أو منقول هو ملـك للعرب لكنهم يتركوه لهم لدواعي الإستثمار في مقابل جزية وبالتالي لا تصادر أراضيهم أو بيـوتهم.. لكن ما يزيد عن حاجتهم من أموال أو كنوز فهو ملك للعرب الغزاة ولا تطبق عليه قاعدة الترك بـل المصادرة.. عرف المسلمون العرب التأميم والمصادرة منذ مئات السنين وسبقوا عبد الناصر ربما ما يقرب من ألف وأربعمائة عام عندما صادر ممتلكات الناس تحت زعم التأميم.. وهو أيضا ما يـنص عليه قوانين الطوارئ الحالي الذي يعطي للحاكم حق مصادرة الممتلكات والأشخاص.. من هذا يتضح أن حكامنا لا يختلفون كثيرا عن الغزاة العرب كلهم في سلة واحدة لا يسعنا سوي القـذف بهـم فـي مزابل التاريخ.

نتيجة الشك المتبادل بدأ المصريون يكرهون العرب منذ الأوامر الفاروقية من عمر الخطـاب بإهانتهم والحط من شأنهم في نفس الوقت ملأ الشك قلوب الغـزاة العـرب حـول حقيقـة ثـروات المصريين.. لذلك أصدر مولانا عمرو العاص أمرا أو مرسوما عمرويا ينص علي أن " مـن كتمنـي كنزا عنده فقدرت عليه قتلته " لم يصدر عمرو هذا الأمر عفوا بل بناء علي تحرياته التـي أثبتـت أن المصريين الأثرياء يخفون أموالهم خاصة بعد إن اكتشف كنزا لبطرس أحد أثرياء مصر كان يخفيـه

لدي راهب " في البداية أنكر بطرس رغم تعذيبه لكن بعد القبض عليه كتب عمرو كتابا للراهب يطلب منه أن يرسل الأمانة التي لديه وختم الكتاب بخاتم بطرس فانطلت الحيلة علي الراهب فأرسل الأمانـة وكانت عبارة عن قلة مختومة بالرصاص.. عثر عمرو عندما فتحها علي صحيفة مكتـوب عليهـا " الكنز تحت الفسقية الكبيرة " فما كان منه إلا أن أرسل إليها رجاله فحبس عنها الماء ثم حفـر تحتهـا فعثر علي إثنين وخمسين أردبا ذهبا مضروبا.. بعدها قتل عمرو بطرس ومنذ هذا اليوم قـام أثريـاء مصر بتسليم عمرو كل كنوزهم.. هذه القصة قد يري فيها البعض الأغراق الخيال لكن الحقيقة المؤكدة أنه لو لم يجمع عمرو ثروات أثرياء المصريين لما مات عن ثروة طائلة قدرها البعض بسبعين جرابا من جلد ثور كاملة معبأة دنانير وبالتأكيد هو لم يجمع هذه الثروة الضخمة من تحصيل دينارين من كل رأس أو من تجارته قبل اعتناقه الإسلام وما اشبه البارحة باليوم فليس منطقيا القول بأن مرتب رئيس الجمهورية الضئيل هو مصدر هذه المليارات الممثلة في أراضي وضياع وجزر وأموال فـي البنـوك وسندات.

لم يهنأ المصريون كثيرا بتحصيل دينارين كجزية عن كل رأس فقد أصدر عمر الفاروق أمرا بمقتضاه ارتفعت الجزية لأربعة دنانير علي أهل الذهب أي الأثرياء وأربعين درهما من الفضة علـي أهل الورق أي الفقراء وأن يكون علي المصريين من أرزاق المسلمين قدر معلوم من الحنطة والزيت والكسوة والعسل.. هذا يعني في عبارة قصيرة.. "خربها العرب وقعدوا علي تلها " لكن الأخطر مـن هذا هو إجبار الأسر القبطية المصرية علي استضافة خاصة العرب المسلمين مدة ثلاثـة أيـام مـع استحلال أي امرأة أو فتاة تروق لهذا الكبير العربي فيسحبها كالدابة إلي فراشه ولم يكن هذا بغريـب علي أخلاق العرب فالثلاثة أيام أقل وطأة مما كان يحدث أيام غزوات الرسول حينمـا كانـت تؤخـذ النساء عنوة سبايا والرجال عبيدا طوال حياتهم.. كان العربي يختار أحد البيوت الثرية لإستضافتة مدة ثلاثة أيام وفور دخوله يطلب رؤية النساء ويا ويله يا سواد ليله من يخفي إمرأة أو فتاة مصيره تمامـا مثل من يخفي كنزا.. الذبح.. ذلك لأنه كان في سلطة هذا الكبير العربي أن يقتل كل من يعارضه دون مساءلة أو محاكمة.. لأنه عندما يقتله فهو يقتل عبدا والعبد ليس له دية أو حقوق.. وبقيت ذيول هـذا النظام تطبق بأسلوب أخر في بعض الدول العربية.. فحتي وقت قريب كان أمير الكويـت رحمـه ا عليه ينكح كل شهر فتاة يستبدلها في الشهر التالي وهذا هو ما درج عليه العمل فـي الـسعودية وإلا فكيف نعلل هذا العدد الهائل من الأولاد الذي يصل أحيانا لأكثر من خمسين مولودا للأميـر الواحـد ونظام الإستضافة العربي هذا قريب الشبه بالنظام الأوروبي الذي كان يعرف بالليلة الواحدة ويـدخل فيها الأمير أو القائد علي الزوجة ليلة واحدة قبل دخول زوجها بها ولم تكن مثـل هـذه الاستـضافة العربية الإسلامية الثلاثية الأبعاد.. أكل وجنس وخدمة لمدة ثلاثة أيام لم تكن مستهجنة لدي العرب فقد

كان مأخوذا بها لدي قريش عندما كان بعض الأزواج يدعون فحول الأشراف علي نـسائهم لتهجـين النسل!! لكن الفرق أن استضافة أحد كبار العرب لدي المصريين كانت تتم غصبا استنادا علي أن من له حق القتل بالأولي له حق الوطء..

كل هذه الأمور لم تكن العائلة المصرية تعرفها لا في القديم ولا في الحديث.. وظلت متبعـة حتي بعد أن تولي " عبد ا   السرج " أمارة مصر بعد عمرو العاص أثناء ولاية عثمان عفان.. لكـن زاد الطين بله قيامه بزيادة الجزية علي أهل الذهب " الموسرين " إلي خمسة دنانير حتى يكتسب ثقـة عثمان عفان فيبقيه في الإمارة لكن بعد مقتل علي أبي طالب واستقرار الحكم لمعاوية السفياني طلـب من وردان حاكم مصر آنذاك أن يزيد الجزية لكن وردان رفض مذكرا إياه بعهد العرب أن لا تـزداد الجزية فعزله ليحل مكانه من ينفذ أوامره.

إلا إنه بمرور الوقت ونتيجة لعجز بعض المصريين عن سـداد الجزيـة بعـد أن ارتفعـت شريحتها لم يكن أمامهم سوى التهرب من دفعها وهذا ما دفع الحاكم لتحصيل الجزية جملـة فقـدرت علي مجموع أهل القرية أو الناحية.. فيقوم سكانها متضامنين فيما بينهم بدفعها وفي عهد عمـر عبـد العزيز أمير المؤمنين ولا ندري لماذا التسمية بهذا التخصيص فهل يقصد بها أميرا للمؤمنين فقط دون غيرهم من المسلمين أم مفهومها أنه علي رأس المؤمنين.. لا ندري إلا أنها تسميات ربما لا تعبر عن الواقع كما تعودنا أن نطلق مثلها اليوم علي بعض الرؤساء. الزعيم.. خادم الحرمين أو علـي بعـض المغنيين والمغنيات.. سيدة المغني أو أمير الغناء العربي.. هي مجرد أوصـاف لا تقـدم ولا تـؤخر شيئا.. لكن في عهد هذا الحاكم "عمر عبد العزيز الذي اتصف بالعدل طلب من والي مـصر " حيـان شريح " أن يحمل جزية أموات القبط علي أحيائهم.. فكل من يموت لا يسقط التزامه بدفع الجزية بـل ينتقل إلي غيره من الأحياء وهو بهذا يكون قد سن أغرب تشريع في التاريخ وهو يعترف بالشخـصية الإعتبارية للميت وبالتالي أصبح المصريون يدفعون الجزية عن الأحياء والأموات مما دفع المصريون للتمرد والثورة فأموالهم أصبحت نهبا للغزاة العرب ونسائهم مستباحة.. لكن هل تغير هـذا المفهـوم اليوم؟؟ إن العرب الهمج الذي قامت حياتهم علي منظومة السلب والنهب أيام الجاهليـة وحتـى بعـد الدعوة المحمدية لم يتغير فيهم شيء حتى اليوم.. لننظر معا كم يسلبون من المسلمين سنوياً في الحـج والعمرة.. مليارات المليارات.. رغم أن معظم هؤلاء المسلمين في عرض مليم!! مازالت الجزية حتى الآن تفرض لكن علي المسلمين من كافة أنحاء العالم.. نفس السياسة.. نفس المنهج.. لكـن بأسـلوب آخر أشد ذكاءا.. وفي النهاية يتهمون المصريين الأشد فقرا الذين يدفعون بغباء وسذاجه المليارات في مقابل الحج والعمرة أنهم أصحاب خبث ودهاء ومكر وخديعة.. لو كنا كذلك فعلا لأقمنا نظاما للحـج علي أرضنا في سيناء المقدسة التي شهدت أحداثا دينية كثيرة.. فا   لا يقيم في الكعبة.. بل هو في كل

مكان.. والترميز له ببيت سواء كان في مكة أو في القدس أو في سيناء يحج إليه المسلمون حق ثابـت للبشر!! وليكن هذا الحج في غير مكة لهؤلاء الفقراء الذين يقتطعون من لحمهم الحي لتأدية الفريضة.. تيسيرا لهم ذلك لأن أداء الفريضة ولمن لا يستطيعها أمر مكروه في الشريعة.. فمن يقترض أو يرهن أثاثه وربما عياله وزوجته أو يسرق أو يتاجر في الممنوعات ليؤدي الفريـضة فأدائـه فاسـدا.. إن الوهابين السعودين ما زالوا حتي اليوم يحصلون منا الجزية بالإكراه ببث الخوف فـي النفـوس مـن عذاب الآخرة.. الإنفاق علي مثل هذا الحج لا يختلف كثيرا عن الجزية التي كان يدفعها أجدادنا.

نعود بعد هذه الاستطرادة القصيرة إلي موضوعنا الأصلي.. بعد أن ضاق المـصريون بهـذا الحكم العربي القاسي المستبد ثاروا لكن قبل الثورة علينا أن نتناول ما وصلت إليه الأوضـاع والتـي دفعتهم إلي الثورة.. كيف كان الحكم وكيف كانت تدار مصر؟ عندما احتل العرب مصر كانت مقسمة إلي قسمين الوجه القبلي والوجه البحري.. أعلي الأرض و أسفلها.. الوجه البحري مقسم إلي خمـس عشر عملا وهو ما نطلق عليه اليوم اسم محافظة والوجه القبلي إلي عشرة أعمـال.. أمـا أعمـال " محافظات " الوجه البحري فكانت الشرقية والمرتاحية والدقهلية والديوانية وكلها شرق فـرع دميـاط وتسمي بالحوف الشرقي وجزيرة قويسنا والسمنودية والدنجاوية والفوقية والشبراوية ونوة والمزاحمين وجزيرة مني نصر وتقع كلها بين فرعي النيل والبحيرة وحوف رمسيس غربي فرع رشـيد بخـلاف دمياط والإسكندرية أما أعمال الوجه القبلي فكانـت الجيـزة والاطفيحيـة والبوصـيرية والفيوميـة والبهنساوية والأشمونية والمنفلوطية والأسيوطية والأخميمية والقوصية وكان كل عمـل " محافظـة " ينقسم إلي " كور " مركز " وكل كور يشمل علي عدة قري وبكل قرية زمام أطيان خاص بها وكـان علي كل عمل "محافظة" رئيس هو المحافظ الآن وعلي كل قرية نائب رئيس هو رئيس مجلس المدينة وعلي كل قرية زعيم هو العمدة.. وكان إمبراطور القسطنطينية يعين من لديه "عاملا " يطلق عليه لفظ بطريق لإدارة الشئون المدنيه في القطر يساعده كبير الأقباط وقائد القوات البيزنطية المرابطـة فـي القطر وكانت سلطة البطريق ونائبه مطلقة لا حدود لها.

وعندما غزا العرب مصر واستقر بهم الحال ابقوا علي نظام الأعمال والكور والقـري لكـن حل محل البطريق والي الخليفة الذي جمع بين السلطة المدنية والعسكرية والدينية فتولي الأمامة فـي صلاة الجمعة ولم يعين له أي نائب قبطي.. ونحن لا نري اليوم ثمة إختلاف بين الماضي وبين ما هو كائن.. فرئيس الجمهورية يملك السلطة المدنية والقائد الأعلي للعسكر ورئيس مجلس القضاء الأعلي و هو الذي يعين الرئيس الديني ممثلا في شيخ الأزهر أو المفتي أو وزير الأوقاف لم يتغير الحكـم الآن عن النظام الذي وضعه الأمبراطور البيزنطي منذ ١٥٠٠ عام كما لم يختلف النظام الإداري عما كان موجودا أيام الحكم البيزنطي ثم العربي.. حكم مطلق فاشي وحاكم يجمع في يده سلطات تماثل سلطات

البطريق البيزنطي أو الوالي العربي.. فكيف يكون الحديث إذن عن الديمقراطية أي ديمقراطية هذه التي يتشدق بها الحاكم أو حوارييه.. هو مجرد ضحك علي الذقون.. لا بد أن نعترف أننا مازلنا حتي اليوم تحت نير الاستعمار حتي ولو تغير المسمي من إستعمار عربي صرف إلي إستعمار مصري صرف فالعبرة ليست بالمسميات بل الواقع الذي يعيشه شعب مصر تحت حكم نظام مستبد دكتاتوري إستعماري في حقيقته أشد وطأة من كافة أشكال الإستعمار التي مني بها شعب مصر

هذا النظام الإستعماري العمروي " نسبة لعمر وعمرو " ظل سادرا في غيه وهو يعصف بحرية المصريين تحت عباءة عمرو العاص لكن لأسباب سياسية أرتآها عثمان عفان خاصة بعد أن فاحت رائحة فساد وثراء عمرو العاص قام بفصل السلطة المدنية عن العسكريه فخصه بالجيش وقلد عبد ا السرح أخ عثمان عفان في الرضاعه منصب وزارة المالية " الخراج " لم يعجب هذا عمرو الذي أبدي تذمره ورفضه للقرار فما كان من عثمان عفان إلا أن عين عبد ا للجيش والخراج معا وعزل عمرو الذي أعلن احتجاجه بمقولة شهيرة " أنا إذا ماسك البقرة وغيري يحلبها!! " هذه العبارة نستدل بها علي أمور كثيرة.. أولا :النظرة الإستعمارية التي رأي بها عمرو مصر بقرة حلوب.. ثانياً : إنه أفصح أن البقرة كانت تدر له شخصيا اللبن وإلا لماذا رفض قيادة العسكر فقط.. ومع ذلك نسمع من يردد اليوم أن الغزو العربي العمروي كان فتحا لمصر.. أي فتح هذا؟! نعم فاتحة خير وبقرة حلوب للعرب لكنه غزو.

استمر هذا الوضع.. الوالي الذي يتم تعيينه من قبل الخليفة يملك في يده السلطة المدنية و العسكرية أي قائداً للعسكر ومديرا للخراج.. وكانت سلطة الوالي مطلقة لا يحدها سوي أوامر الخليفة التي كان علي الوالي تنفيذها بدون مناقشة أو تعقيب.. وما يقال عن الشورى في صدر الإسلام مجرد أحاديث لا يسندها دليل أو برهان فقد كانت سلطة الخليفة مطلقة وحكمه ديكتاتوري بلغة عصرنا هذه الأيام فالشورى لم يكن لها أطر تحكم مداها وحدودها أو تنظيمها بل مجرد كلام مرسل يمكن تنفيضه مع السجاجيد! فالخليفة يملك علي البشر حق الحياة والموت وله أن يصادر الأموال ويستولي عليها سواء أكانت عقارا أو منقولا وله أن يسجن أو يشرد أو يقتل تلك السلطة المطلقة للخليفة انتقلت للوالي باعتباره ممثلا للسلطة وهي نابعة من نظرة " استعمار الرقيق " أي أن الشعوب التي غزاها الإسلام ليست سوي عبيد فإذا كان للحاكم الحق في قتل العبد أي سلب روحه فله بالأولي ما دون ذلك من الأفعال.. وهنا تكمن فلسفة الضيافة الثلاثية الأبعاد التي اتبعها العرب مع المصريين حيث كان العربي القح يتخير أسره تستضيفه ثلاثة أيام يأكل ويشرب وينام ويعاشر ما شاء من النساء سواء كانت زوجه المضيف أو ابنته من منطلق أن علي العبد تقديم حياته فداء لصاحبه وهذه أعلي درجات التضحية. وبالتالي فإن الاستضافة بكل طقوسها حتى الفراش تعتبر في مرحلة أدني من

التضحية بالذات من أجل العربي الغازي.. وإذا كنا ندين الماضي بل ونطالب من العـرب المـسعودة الاعتذار عنه فبالأولي علينا أن نتمرد علي الحاضر ونثور علي حكامنا الذين يسيرون علي نفس النهج لا فرق بينهم وبين الوالي العربي الاثنان يعبان من إناء المطلق ذلك لأن فلسفة الغـازي " اسـتعمار الرقيق " القديمة ليست سوي صورة من قانون الطوارئ الذي يعطي للحاكم نفـس حقـوق الغـازي فللحاكم أن يحاكم وأن يسجن ويعتقل أو يقتل الأنفس أو يصادر الأموال أو يستولي عليهـا منقـولا أو عقارا وليس هذا كلام خيالي مغالي فيه بل يؤيده الحادث عندنا.. فأول ما يتبـادر إلـي الـذهن هـذه القصور التي نهب كنوزها الحكام أو تلك التي أضافوها إلي ذمتهم المالية بدون وجه حق تحـت بنـد الحراسات والتأميم أو هذه التوسعات الهائلة بقصورهم في قلب القاهرة وكلها تمت بالغصب والإرهاب والخوف أما القتل فكم من الجرائم ارتكبت خاف ستار لا تخفي يد الحاكم أو أحد أبنائه وهـي تقطـر بدماء الضحايا!! فماذا يتبقى بعد قتل الأنفس أو مصادرة الأموال واغتصاب النساء. نعم النـساء.. إن التاريخ يولول حزنا علي نساء إغتصبها الحاكم أو احد أولاده أو حواريهم.. فراشات كثيرة إحترقـت علي وهج نارهم.. كل هذه المآس تعبر بصدق عن معايشتنا لحقبة تشبه كثيرا حقبة الحكـم العربـي لمصري.. حقبة ديكتاتورية.. قمعية.. استبدادية لكن المصيبة الكبرى أن الحاكم المصري يتبع نفـس نهج الغازي العربي لا فرق بين الاثنين.. كلاهما مثواه النار وأنا استعير هنا تعبيرا ورد في أحد كتب المقريزي.. " يؤدب من يشاء ويظلم من يشاء ويذل من يشاء ويعز من يشاء " هذه هو مسيرة الـوالي العربي لمصر وهي نفس مسيرة الحاكم المصري.. والسؤال كيف كانت توجـه ميزانيـة الخـراج.. بمعني آخر كيف كان أوجه إنفاقها..أولا رواتب الوالي وحاشيته وكان يقدرها بنفسه وثانيا تخـصيص بعضها للخدمات العامة وثالثا رواتب موظفي ديوان بيت المال والكتبة ورابعا القمح الذي كان يرسـل لأهل الحجاز وأخيرا الباقي يرسل إلي خزينة الخليفة وهو ما يسمي بمال الجزية.

وهذه كلها معلومات موثقة من مراجع عدة لكن كان علي التأكد من صحتها.. فكرت كثيـرا فـي المرجع الأصلي الذي أستطيع الاعتماد عليه.. ولم يكن أمامي سوي الأبطال الحقيقين الفـاروق عمـرو الخطاب وعمرو العاص.. لكن كيف أصل إليهما وقد تحول جسديهما إلي ذرات رماد.. ما تبقـي سـوي روحيهما.. انهما الأن في الجنة.. وربما الفاروق فقط.. تفتق ذهني عن وسيلة للإتصال بتلك الأرواح وأنا أتصور حال الجنة الآن.. إنها بالقطع لن تقتصر فقط علي الحور العين والولدان والمياه العذبة والفاكهـة بكل أصنافها والخمر واللبن ومشتقاته من زبادي ومهلبية وأم علي ومكرونة بشامل وما إلـي ذلـك مـن أكلات شهية بل لا بد وأن يستمتع أصحاب الجنة بكافة المخترعات الحديثة مـن تليفزيـون وتليفـون و دفـايات ولاسلكي ومحمول وثلاجات ومكيفات ومراوح ودفايات وغسالات أطباق وملابس وأيضا لابد أن تحملهم من مكان إلي آخر سيارات هوائية بديلا عن البراق ذوي الأربعة أجنحة وهذا هو مفهـوم الجنـه

الحديثة.. أيضا لابد أن يكون لديهم المخترعات الحديثة من كمبيوتر وحاسب وساعات لكن كيف يتأتي لهم كل ذلك بتعبير أدق كيف يحصلون علي هذه الأدوات الحديثة.. مصانع يعمل فيها الملائكة يرشدهم في تصنيعها أصحاب الإختراعات امثال اديسون وجاليلو ونيوتن ولن يقتصر الأمر فقط علي مصانع تلك الأدوات بل لابد من وجود مصانع للأغذية واللحوم و تجميد الخضروات.. يستتبع ذلك وجود مزارع تزرع فيها المحاصيل والخضروات و أخرى تربي فيها الحيوانات والأسماك ويعمل فيها أيضا الملائكة الأبرار بتوجيه من فقهاء الزراعة وتربية الحيوانات وبالقطع لن يعيش أهل الجنة عرايا بل لابد أن يسترهم ملابس تصنع داخل مصانع و بالضرورة لابد من زراعة القطن والكتان في أراضى الجنة الشاسعة التي عرضها السموات والأرض!! إن مهمة الملائكة في الجنة صعبة.. فهم الذين يقومون علي خدمة أهل الجنة لتلبية كل احتياجاتهم الجسدية والجنسية وحور العين ليسوا سوى إناث الملائكة تجسدت بشريا حتي تشبع غرائز أهل الجنة الجنسية! أصحاب الجنة في نعيم أبدى أما أصحاب النار فهم في شقاء عظيم يتحسرون وهم يرون أهل الجنة من خلال شاشة تليفزيون يأكلون الخراف المشوية ويضاجعون حور العين الفتية.. ويعضون أصبع الندم! يقولون سبحانه وتعالي لوعدنا للأرض ما أغضبناك وما عصينا تعاليمك.. يأكلون الخبز المقدد علي صور الشواء التي يبصروها من خلال شاشات العرض.

في الجنة يسمع أهلها الموسيقي بأنواعها المختلفة.. كلاسيك أو حديثة! ما علي نزيل الجنة سوى الضغط علي زر فتأتيه الموسيقي أشكالا وأنواعا عزف منفرد أو سيمفونية أو كونشرتو.. وإذا ضغط علي زر آخر تأتيه حور العين راقصات عاريات النهود يرفهن عنه فإذا ما انتهي منهن بالنظر او التقبيل او المعاشرة الجنسية وضغط علي زر رابع تأتيه قائمة أطعمة يختار منها ما يشاء.. لو طلب لبن العصفور يجده بين يديه.. هذه هي الجنة الحقة.. لن تكون فقط مجرد جداول وأنهار لبن وحور عين وخمراً بل ستتوافر داخلها كل متع الدنيا والأخرة.. ويكفي أهل النار عذاب الحرمان.. فلا إمرأة يواقعها النزيل ولا قطعة لحم مشوية يأكلها ولا رفاهية يحصل عليها.. حياة جافة.. ينظر أهل النار إلي أصحاب الجنة من خلال شاشات العرض في حسرة ويمتلكهم الندم الشديد فيصفعون وجوهم بالأكف والأحذية.. أتاني هذا الإلهام وأنا قائم أصلي.. الهمني إياه السبحان.. أن إتصال الأرواح ليس بمستحيل تماما مثل إستحضارها.. وأن الجنة لن تنتظر فناء العالم حتى تقام فهي موجودة منذ ملايين السنين.. بل أن الروح الخيرة تلوذ بها فور صعودها لتستمع بكل متعها الحسية والمعنوية لا يهم الثوب الذي ترتديه بل الأهم.. الموتور.. والإنسان بعد موته ترتفع روحه لبارئها.. وعلي شاشة الكمبيوتر الألهي تظهر أخطاؤه مجرد ثواني لتتخذ طريقها إما إلي الجنة أو إلي النار لا فيه ميزان حساس يزن الأعمال ولا خيط رفيع أو سميك!! كمبيوتر إلهي فقط.. لكن السؤال كيف يتم الإتصال بهم لم أشك لحظة أنهم يملكون مثلنا تليفونات عادية ومحمول وربما ما هو أحدث.. تمكنت مني هذه الفكرة.. أخذت بتلابيبي أمسكت بالمحمول تلفنت لشركة المحمول رد علي صوت إمرأة مبتل :

- أفندم
- من فضلك تليفون الجنة!!
- أي جنة!!
- هو فيه جنة غير جنة ربنا.

رد علي الصوت المبتل في ضيق :

- أنت عبيط ولا بتستعبط
- لا هذا ولا ذاك.
- تبقي بتعاكس.
- صوتك لا يشجعني حتي علي سماعك فما بالك برؤيتك!!
- أنت أكيد مجنون.
- بل العكس أنا في كامل وعيي
- في كامل وعيك لو كان كلامك مزحة.
- بل هو جد الجد.
- معقول في الجنة تليفونات!!
- أكيد لسبب بسيط واحد إن حال الجنة أفضل مليون مرة من حالنا.
- إبتديت تهرش مخي بكلامك
- حد يصدق إن جنة ربنا ممكن تكون مقشفة من غير تليفونات.

حلت فترة سكون استطردت بعدها قائلا :

- يعني لو واحد اراد الإتصال بأحد أقاربه وإنت تعرفين إن الجنة مساحتها مليـارات الأميـال يبقي أمر مستحيل من غير التليفونات.
- عندك حق.
- اقتنعت.
- كلامك منطقي.

سكتت عادت مستطردة متسائلة :

- بعد عمر مديد سأكون أول من يعمل هناك في شركات المحمول

قلت لها ساخرا :

- بعد عمر مديد
- شركات إيه وهباب إيه.. يا ست إنها جنة ا

- أه صحيح.. نسيت.

كانت هذه أخر عبارة قبل أن أغلق الخط.. مر علي شهر وأن أفكر في وسيلة للإتصال بالجنة كيف إتصل بمكان لا أعرفه وأجهل قاطنيه!! صديق لي عزيز مخضرم.. ضابط تقاعد بعد أن اتهموه بالسحر والشعوذة.. له باع عريض في معرفة العالم الآخر وقدرة غريبة في استحضار الأرواح شرحت له القضية وطلبت منه إستحضار روح لا تكذب ولا تخادع فاستقر رأينا علي روح الفاروق " عمر الخطاب ".. بعد أن إستحضرها سألها سؤال محدد وكانت إجابته عليه واضحة فقد أملي علينا أرقام محمول الجنة ورقم الإميل.

بدأت علي الفور الإتصال علي الرقم.. انصهر المحمول في يدي!! ماذا حدث لا أدري ربما الإرسال هناك أقوي.. لم أيأس.. اتصلت بشركة المحمول طلبت منها أن تصلني بالرقم.. سمعت صوت انفجار وأصوات تصرخ.. حريق.. حريق.. حريق!! تفكرت لماذا لا ألجأ للأميل.. أرسلت رسالة فوجئت بالرد علي الشاشة :

- من المتحدث؟
- أنا؟؟
- انت من؟!
- محقق في التاريخ العربي.
- وماذا تريد أيها المحقق؟
- أريد توجيه بعض أسئلة لعمر الفاروق.
- لحظة واحدة.

اللحظة الواحدة مرت علي مثل يوم كامل.. بعدها أضاءت الشاشة بكلمات عبقت نفسي بالأمل:

- أنا عمر الخطاب ماذا تريد مني.
- لدي بعض أسئلة لا أستطيع العثور علي إجابتها.
- اسأل.
- لماذا حقرت من شأن المصريين الأقباط وأنت توشم رقابهم وتجبرهم علي إرتداء ملابس قصيرة حتى تميزهم عن العرب المسلمة.
- لم أكن أقصد التحقير بل تقرير واقع فأنت تعرف أن المحتل دائما هو السيد وأن المحتلين هم العبيد.
- نأتي إلي السؤال المهم.. لماذا أمرت بحرق المكتبة الإسكندرية.

- أنا فعلت ذلك؟!
- يا سيدى الفاروق أنا لا ألقي الكلام علي عواهنه فقد جاء ذلك في كتب الأولين أولهم كتاب " تراجم الحكماء " للقاضي الأكرم بن القفطي وثانيهم كتاب "الإفادة و الإعتراف " لعبد اللطيف والثالث "تاريخ مختصر الدول " لأبو الفرج الملطي.
- ذكرني بما جاء بها.
- لقد سألك عمرو العاص بعد غزوه لمصر عن مصير الكتب في مكتبة الإسكندرية.. فأجبته في رسالتك له " وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان ما يوافق كتاب ا ففي كتاب ا غني عنه وأن كان فيها ما يخالف كتاب ا فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها.
- نعم لقد تذكرت.. ما كتبته لعمرو له اسبابه فقد استعنا بالمقوقس ليبدي رأيه في هذه الكتب الذي كان أدري منا بفحواها.. وهو الذي أفادني بأن تلك الكتب المقدسة لا يخرج مضمون بعضها عما ورد بالقرآن أما الآخر فيتعارض معه.. فإذا كان الحال كذلك فلماذا الإبقاء عليها؟! فيا أ خ الإسلام أنا لم أقرأ تلك الكتب لأنها مدونة بلغات مختلفة ولكن المقوقس وأهله هم الذي أخبرونا بمضمونها فإذا كان ثمة مسئولية في حرقها فهي مسئولية أهل مصر وحاكمها.
- لكن كثير من تلك الكتب كان يتناول العلوم الفلكية والرياضية والميكانيكية وهي لا تتعارض مع القرآن الكريم ولم يرد نصوصا مثلها فيه فلماذا أحرقتها.
- أكيد هو شرك وقعت فيه لو كنت أعلم بهذا ما أمرت بحرقها.

مرت فترة صمت قصيرة قبل أن يخط لي عمر الفاروق علي شاشة الكمبيوتر العبارة التالية:

- عن إذنك لأنني معزوم علي لحمة ضانى وفتة مع أصحابي أبو بكر وعلي وعثمان.

انتهت المكالمة.. قررت بعدها أن أرسل إميلا لسيدنا عمرو العاص جاءني الرد سريعا :

- هنا الأخرة.. من تريد؟
- عمرو العاص.
- في أي قسم الجنة أم في النار؟
- لا أدري لكن في الغالب الأعم مثواه النار.
- دقيقة من فضلك حتي يتبين لنا الخيط الأسود من الأبيض
- ماذا تعني.
- أعني نت الآخرة.

مرت لحظات قليلة قبل أن تأتيني الرسالة :

- عمرو العاص ليس من سكان الجنة.
- شوفه في النار
- دقيقة واحدة.

لم تمر سوي دقيقة وصلتني رسالة :

- عمرو العاص ليس من سكان النار.
- غريبة لا في الجنة ولا في النار يبقي راح فين؟!
- بين.. بين..
- فسرلي وروح أبوك!!
- أكيد مكانه علي الخط الفاصل.
- شوفه لي فورا علي النت.
- لحظة من فضلك.

في لحظة وصلتني رسالة من عمرو العاص :

- من هذا المتطفل الذي يطلبني وقت راحتي.
- أنا محقق في التراث
- بسرعة حدثني بما تريده فقد أشرف ميعاد نوبتي المسائية للإشراف علي صالة الجحيم رقـم واحد.
- كنت أريد سؤالك عن حريق الإسكندرية.
- أسأل وخلصني.
- لماذا حرقت مكتبة الإسكندرية.
- أوامر من الفاروق عمر الخطاب.
- لكن كان عليك أن تدقق في الأمر لتتعرف علي نوعية الكتب لا أن تحرقها عمال علي بطّال.
- هو أنت حمار.
- ا يسامحك.
- أقول لك إنها أوامر عليا من الخليفة.. تقول لي أدقق يا أخي الأوامر تنفذ حتي ولـو كانـت خطأ لا كمال إلا ا .
- أنا لا أطلب الكمال ولكن هذا خطأ فادح.
- هي لبانة يا أخي بتمضغها.. أقول لك طور تقوللي إحلبه.

- شغلك جمع المال عن الاستيثاق من الحقيقة.
- أي حقيقة يا أخ الإسلام.
- عثورهم علي ملايين الدنانير في بيتك يوم وفاتك.
- لهذا فقد قضيت فترة عقوبتي في النار وأنا الآن أشرف علي عمليات تحريق الكفرة أمثالك.
- إحنا برضه يا غازي.
- غازي.. شرف كبير أن أكون غازيا أفضل من أن أكون مستعبدا.

الفصل الثالث

المصريون تحت نير الغزو العربي

" كنتم خير أمة أخرجت للناس " هذا النص القرآني كان ومازال مفخرة للعرب فقد رفع مـن قيمة العربي القريشي ليضعه في طائفة مميزة تفوق كل البشر واعتبرها من أفضل الأمم.. نفخهم مثل بالون وهو يصفهم بأنهم خير أمة وفي الحقيقة نحن لا ندري لماذا خص النص القرآني عرب الجزيرة بهذه الأوصاف الحميدة وكل معلوماتنا عنهم تؤكد إنهم شعب متخاف ممزق منقسم علـي نفـسه فـي صورة قبائل متفرقة أنانية كل همها قتال بعضها البعض من أجل مرعى أو إمرأة أو دابـة.. قبائـل متناحرة تمثل شعبا همجيا جاهلا غابت عنه كل أسباب الحضارة والتحضر.. هذا المفهوم الذي خـص عرب الجزيرة فقط دون غيرهم يعلي من شأن الطائفية ويخالف حقوق الإنسان التي لا تفرق بين بشر وآخر بسبب العقيدة أو الجنس أو الدين بل ويتخاصم مع نص آخر مقدس لا يفرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوي.

هذا النص الذي ميز العرب وجعلهم علي رؤوس الأمم جميعا مد جسور الغـرور والـصلف والكبرياء لعرب الجزيرة في تعاملاتهم مع الشعوب التي استعمروها بحد السيف فقد نصبوا من أنفسهم سادة علي تلك الشعوب فلم يختلطوا بهم ولم يندمجوا معهم وكانوا يستعلون علي كافة الأعمال اليومية ما عدا أعمال السياسة والحرب والقضاء تماما مثل ما كان يفعل النبلاء في الغرب الذي كانوا يملكون ويحكمون.. إعتبروا الامتهان بالتعليم والأعمال اليدوية أعمال وضيعة لا تليق بهم.. فالمعلم والخيـاط والغازل والبائع والبقال والحلاق والخباز والعربجي كل هؤلاء في درجة أدني!! هذه النظرة التشاؤمية الطائفية مازالت حتى الآن سائدة في بلاد الخليج فهم يستوردون المصريين والأسـويين للقيـام بتلـك الأعمال الوضيعة علي حد وصفهم لها بينما هم يراقبون ويفركون ما بين أصابعهم ويشتمون!! علـي رأي المثل " ديل الكلب ما يتعدل حتى ولو علقت فيه حجر ". نظرة الإستعلاء علـي ممارسـة تلـك الأعمال وعلي من يقومون بها هي السائدة في تلك المجتمعات القبلية ساعدهم علـي ذلـك البتـرول الأسود الذي رفع من مستواهم المادي دون الحضاري فضلا عن الحج الذي يستنزف أموال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها خاصة المصريين فحتي لحظتنا تلك ما زالو يدفعون الجزية طوعا وأملا في التوبة والتقرب سبحانه وتعالي إستغل العرب جهلنا بأبسط قواعد الدين بعد أن ضربنا بعـرض الحائط شرط الإستطاعة الواجب تحقيقة لأداء فريضة الحج بإعتباره شرط صحة.. فلا يصح الحج إلا بتوافره.. فالفقير المعدم الذي يقترض لحجته والشيخ المسن المحمول علي محفه والمريض المتدهورة صحته وعائل الأسرة الذي لا يجد فائضا من دخله.. كل هؤلاء سقطت عنهم فريضة الحج..

في الحقيقة ودون أن نضع رؤسنا في الرمال مثل النعامة علينا أن نعترف أن عرب الجزيـرة أذكي منا نحن المصريين وأننا والحمد ننعم بسذاجة تقترب إلي حد العبط.. فقد إسـتغلوا اتجاهاتنـا الدينية الغارقة في مستنقع الخزعبلات واستطاعوا فرض الجزية علينا بطريق آخر وهـو الإسـتعمار الديني.. كانوا في الماضي يستعمرون منا الإنسان والأرض ولما انتهي إحتلالهم عـادوا فاسـتعمروا عقولنا بوسيلة الدين وبالتالي فرضوا علينا جزية العقيدة مقابل صك وهمـي.. مغفـرة رب العـرش العظيم وهم يعلمون أن المغفرة التي يسبغها ا علي البشر لا مكان لها ولا زمان فالانتقال إلي الكعبة والدوران حولها وأداء كل طقوس الحج لا يعني إعطاء الحاج صك بقبول دعوته أو الغفـران لـسبب بسيط جدا.. أن ا في كل مكان وزمان يلبي دعوات المظلومين لا فضل لمكان علي آخر في قبـول دعوتهم.. هذا الصك الوهمي مثله مثل صكوك الغفران التي كان القساوسة يبيعونها لسذج البـشر.. لا فرق إلا في المسميات.. صك الحج وصك الغفران وانتقال الحجاج إلي أرض الحجاز ليس سوى رحلة سياحية دينية!! والحديث عن تماس أرواحنا بذات ا العليا في الكعبة المشرفة من الممكن حدوثه فـي أي بقعة من بقاع الأرض حتي ولو كانت أمريكا نفسها بل أكاد أجزم أن ا هجر أرض الحجاز بعـد أن غضب علي قومها.. فكم من المآسي والمظالم ترتكب بإسمه.. إستغلال الناس بإسم الحـج!مـوت الآلاف في تزاحمهم علي رمي الجمرات..إنحسار العدل الالهي فا لا يسبغ أبدا رحمتـه علـي بلـد تنتشر فيها المظالم ويبكي المظلوم ضياع حقه وتهان فيه المرأه لتصبح شيئا من الأشياء.. ا لا يسبغ رحمته علي قوم يغتصب فيه مدير مدرسة سعودي طفلا مصريا ويسحق أبيه لأنة أصر علي عقـاب السعودي.. ا لا يسبغ رحمته علي قوم فشت بين نسائه دعارة المحارم خاصة وكافه البلاد العربيـة عامة.. وهو الآن بعيد بعيد جدا عن تلك البلاد التي أصبح الحق فيها موءود والظلم فيها موجود والفقر فيها من شدته محسود.. وربما هو الآن يرفرف برحمته علي البلاد الأخري التي تحترم الإنسان وتوقر إنسانيته بلاد مثل السويد والنرويج.. هناك الإنسان لا يظلم أخيه الإنسان..هناك لا تعثر علي جـائع.. هناك ينعم كل مواطن بالحرية والأمان.. يبدي رأيه دون أن يتم اعتقاله وأو محاكمته لهذا يبـسط ا رحمته علي تلك الأماكن.. اعتبرها مملكة له وترك العرب الذين حرموا الإنسان من حريته ليتقاتلوا أو يتنابذوا أو تسيل دمائهم!تركهم للأمراض والأوبئة وانفلونز الطيور تقـضي علـيهم وأنظمـة فاشـية ديكتاتورية تحرق الأخضر واليابس! هناك في بلاد الشمال بسط ا رحمته مثل مظلة يحتمي تحتهـا البشر من وهج الشمس.. لا لسبب إلا أنها بلاد فعال لا أقوال ومملكة ا مملكـة أفعـال لا أحاديـث خرافات وأقاويل جوفاء.. مملكة ا مملكة سلام بل أكاد أجزم أن ا إنحسرت رحمتـه عـن بـلاد المسلمين قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن تحولت إلي مقـابر جماعيـة للعـدل وسـجون ومعتقلات للاحرار ومحافل للتجويع والسلب والنهب! وأنه ابتعد عنها برحمته فراسخ وأميـال لـذلك

أصم عن سماع دعواتنا وطلب غفراننا.. فإذا كنا حقاً جادين في استلهام رحمته وعطفه فلنبدأ بتغيير أنفسنا حتي يظلنا برعايته.. فكيف للإنسان أن يدعو بالمغفرة في بلد ترتكب داخل جدرانه المعاصي عيني عينك.. بلد انعدمت فيه كل أسباب الحرية يهان فيه الإنسان فلا يلام حاكم أو مسئول.. بلد أصبح للعدل شيطان وملك ديكتاتور وشعب يداس بالحذاء.. كيف في بلد حاله كذلك أن يقبل الإله دعوة مظلوم.. ما عاد للدعاء معني في بلد لا ينصت فيها الرب للدعوات أو الإستغفارات.

لقد استطاع عرب الحجاز بذكائهم أن يحولونا إلي عبيد للدين يستغلوه بشح جيوب الغلابة والمساكين.. حولونا من عبيد أجساد يشتري ويباع إلي عبيد معني أو عقيدة وهذا هو أقصي نجاحات المستعمر فما أشق تغيير عبودية الجسد إلي عبوديه العقيدة وبالتالي حكم علي المصريين أن يعيشوا أذلة تحت راية الحكم العربي وأيضا تحت راية الدين! سألت إحدي السيدات في جلسة جمعتني بها عن سبب حجها للمرة الثالثة وإعتمارها للمرة الخامسة وكانت إجابتها غريبة.. لقد بكت في كل مرة من الثماني التي زارت فيها الكعبة وقبر الرسول فرددت عليها بأنني بكيت أمام مشهد في مسلسل الشارد الذي أجاده حسين فهمي فردت علي قائلة بانها سالت ا المغفرة واستجاب لها منذ أول حجة وسبب تكرارها للحج والعمرة حتي تشكره علي استجابته لها و أقول لهذه المرأة يا سيدتي إن ا في كل مكان وفي أي زمان ودعوته وإستجابته لا تقتصر فقط علي بلاد الحجاز".. هذه السيدة وغيرها كثيرون مرضي بالإدمان الديني ذلك المرض الذي يوجب عليها أن تحصل علي جرعة منه كلما ضاق بها الحال.. لقد كثرت حالات مدمني الدين في عصرنا هذا.. هؤلاء الذين يستحلبون الخرافات والخزعبلات لاراحة أنفسهم من واقع الحياة القاسي.. مثلهم مثل مدمني الهوروين كلما إشتموا منه سطرا أو سطرين استراحوا فترة قصيرة يعودون بعدها إلي شمه الهوروين

ونعود بعد هذه الإستطرادة إلي حال العرب عندما حكموا مصر.. متعالون متكبرون.. يعتقدون أن ا وضعهم في مصاف أوائل الأمم ورفع من شأنهم وأفرد لهم المنزلة الأولي علي كافة شعوب العالم رغم أنهم من أدني الشعوب ثقافة ومعرفة.. فتكبرهم هذا واستعلاؤهم ضخّم لديهم الإحساس بالذات فابتعدوا عن العلم والمعرفة مكتفين بالسياسة والحرب وهذا هو السبب الذي دفع عمر الخطاب لإرسال خطاب إلي عمرو العاص يطلب منه أن يميز بين المصريين والعرب الغزاة بأن يختم علي قفاهم و يجبرهم علي ارتداء ملابس قصيرة وعلي جز شعورهم بهدف حظر التشبه بالمسلمين العرب.. هذا التمييز العنصري إنعكس وتحول إلي كراهية مفرطة حتي الذين أسلموا من المصريين تحت الضغط الحياتي للهروب من دفع الجزية.. هؤلاء لم يسلموا من اضطهاد العرب فقد كانوا يحقرونهم إحتقارهم للأقباط الذين يطلق عليهم الذميين فكان قولهم المأثور " لا تقطع الصلاة إلا لثلاث حمار أو كلب أو قبطي " ويرفضون إمامة المصري المسلم أو السير معه أو الصلاة في جنازته..

وكان محظور عليه أن يتزوج بعربية فإذا حدث طلقه الوالي منها وربما عاقبه بالضرب المبرح الـذي يصل إلي مائة جلدة وقصة سلمان الفارسي الذي دافع عن المدينة أثناء غزوة الأحزاب ليـست بعيـدة عن الأذهان عندما خطب إلي عمر الخطاب إبنته فوعده بها فأغضب ذلك ابنه عبد ا الذي أفصح عن رفضه لهذه الخطبة لعمرو العاص فما كان منه إلا أن واجه سلمان الفارسي بقوله "هنيئا لك يـا أبـي عبد ا بتواضع أمير المؤمنين في تزويجك لإبنته " فما كان من سلمان الفارسي وقـد اشـتم رائحـة التعصب الكريهة إلا أن قال " لا وا لا تزوجت إليه أبدا " ولم تكن هذه هي الحادثة الوحيـدة التـي تتضح بالتفرقة العنصرية فقد تعددت الحوادث التي يستدل منها علي هذا التعـصب الحـاد مـا بـين المسلمين العرب والمسلمين المصريين فالعربي متعالي علي المصري كأنه من طينة أخري و نـسيج آخر حتي وصل الأمر إلي أن عربيا مسلما تنازع مع مولي " مصري مسلم " أمام عبد ا بن عـامر فلما قال له المولي " لا أكثر ا فينا مثالك " رد عليه قائلا " بل لأكثر ا فينا مثالك " فلما سئل أيـدعو عليك وتدعو له أجاب " يكسحون طرقنا ويصنعون قفالنا ويحوكون ثيابنا " مثل هذه الـدعوات التـي ترفع راية التعصب ترفضها الآن كافة المواثيق الدولية التي لم يكن يعرف العرب عنها شـيئا وحتـي بعد أن عرفوها وحفظوها ظهرا عن قلب فما زالت نعرة العروبة تشقيهم وتعذبهم أنهـم خيـر أمـة أخرجت للناس وللأسف إذا كنا سنحتكم للتاريخ فقد ثبت علي مدار السنين أنهم أمة متخلفـة أصـابها العفن والدود وباتت مثل نمر جريح تقيح جرحه ووهنت قدرته علي إفتراس فرائسه فما عـاد يقتـات سوي الفئران والذباب!!كان خاصة العرب يسخرون من الموالي " المصريين المسلمين " بل وصـلت بهم الوقاحة إلي أن معاوية السفياني خشي من نسلهم علي دولة العرب لذلك إتخذ قراره بتقليل أعدادهم بقتلهم أو خصيهم إلا أن " الأحنف قيس " واحد من حاشية معاوية استنكف هذا الرأي لكن تصدي لهذا الأمر " سمرة جندب " فطلب من معاوية أن يقوم هو بتنفيذه الأمر فقتل بعضا منهم وخصي الـبعض الأخر وترك الباقي حتي تنتظم الخدمات وعمارة الطريق..

يستدل من هذا إنه حتي الموالي كانوا في حكم العبيد لذلك استحل قتلهم فإذا كان هذا هو الحال المصري المسلم فإن حال أخيه القبطي أشد قتامة و إظلاما.. لكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه علي الساحة وبشدة هل تغيرت أفكار العرب المسلمين الآن عن أفكارهم أيام الأزمنة الغابرة.. بمعني أخـر هل ينظر السعوديين في وقتنا الحالي للمصريين أقباطا أو مسلمين بنفس النظرة المتعالية.. وهل تغير فكرهم بإعتبارنا موالي لا يستحقون الاحترام!! أبدا لم يتغير هذا التفكير فمازالو ينظرون إلينـا فـي تعالي ممزوج بالحسد والحقد لأنهم مازالوا يعيشون بفكر كهوف قريش وسراديبها المتخلف ورغم هذا فهم يعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم من جنس آخر أرقي من كل أجناس الأرض فقد كانوا يعتقدون أنه لا يحمل في سن الستين سوى قرشية وفي سن الخمسين عربية وإن كل مولود عربـي أو

قريشى محصن ضد الأمراض ولكنهم لم يخبرونا لماذا مات الرسول القريشي علية السلام ولم يتجاوز الستين من عمره رغم أن متوسط الأعمار الآن فوق السبعين؟! بسبب هذه الأوهام الخادعة كان العرب المسلمين يحفظون أنسابهم من التلوث بالأجانب.. والأجنبي هنا هو غير العربي.. فكان محظورا عليه حتي ولو كان أميرا أن يتزوج من إمرأة عربية حتي ولو كانت تنتمي لأحقر القبائـل.. ولـيس هـذا مقصوراً فقط علي النساء العرب بل أيضا الرجال فكان العربي يستنكف الزواج بأجنبية ويعد أولادهـا في مرتبة أدني من الأب لذلك حرم العرب الخلافة علي إبن الإمة " الجارية " حتي ولـو كـان أبـوه قرشيا لهذا عندما طلب " يزيد علي الحسن " الخلافة لنفسه كانت حجة " هشام عبد الملك " كيف يتولي الخلافة إبن إمة " عبدة " مع أن أمه كانت من بنات ملوك فارس أسرها العرب وتزوجها يزيد.

هذه الغطرسة وتلك الكبرياء لازمت العرب قرونا عدة وحتي يومنا هذا رغم أنهم أصـبحوا حثالة الأمم وقمامتها.. غطرسة غريبة لا نجد لها مثيلا لا في بلاد الإغريق ولا الرومان ولا الفـرس ولا الترك و لم يقتصر الأمر علي إبتداع هذا التميز الغريب بين العرب وغيرهم من الأمم بل إنتقـل إلي طبقة العرب ذاتها. فأصبحت درجات.. الدرجة العليا أو الأولي من ينتسب إلي الرسـول أو إلـي قبيلة قريش يليهم الصحابة من المهاجرين و الأنصار ثم أهل بدر هؤلاء الذين قـاتلوا مـع الرُسـول ببسالة في واقعة بدر ثم يليهم غزاة مكة ثم أهل القادسية ثم أصحاب الجمل وأخيرا أصحاب حطـين.. هؤلاء كانوا يمثلون طبقة الأشراف وكانت لهم إمتيازات خاصة " إقطاعيات وعطايا وهبات ".. لـذلك لم يكن غريبا التفاخر بالنسب والتعصب له الذي هو دعوة أيام الجاهلية الأولي المتمثلة فـي التمـسك بأنساب الأمومة والأبوة والسبب في هذا أن كثيرا ممن اعتنقوا الإسلام لم يعتنقوه عن إقتناع بل لتحقيق مصالح خاصة لذلك لم يهذب النفوس بل كان في كثير من الأحيان دافعا للتعصب الأعمي حسب مـا جاء في النص القرآني " كنتم خير أمة أخرجت للناس " ولم يغير هذا التعصب ما جاء في النص " إن أكرمكم عند ا أتقاكم " فهذا النص لم يخرج من سياق كنتم خير أمة أي أمة العرب المسلمين فالإسلام رغم مآثرة الحميدة لم يستطيع أن يحفز العرب علي التطبيق الأمثل له لأنهم ما اعتنقـوه إلا لأسـباب أخري مختلفة أولا كنظام اجتماعي يلم شمل المسلمين المبعثرين في أنحاء الكرة الأرضية وثانيا كنظام يستفيدون من ثرواته التي نهبها العرب من البلاد المستعمرة ولم يعتنقوه دينا يهذب طبائعهم الهمجية.. فظلوا حتي يومنا هذا علي هذا الحال من الهمجية والعصبية تتقاتل طوائفهم مع بعضها البعض ومـع الآخرين تريد بهمجيتها أن تنكس علم الحضارة الغربية وأن تدوس بقدم الإرهاب كل ما كسبته البشرية خلال قرون طويلة من حرية وحقوق للإنسان وهم يفجرون المباني ودور العبادة ويقتلون البـشر! ان الإرهاب الذي وضع بصمته علي خريطة البشرية ابتداءاً بأمريكا وانتهاءاً بأسبانيا ومـرورا بـإنجلترا والعراق ومصر وباكستان وغيرها وغيرها ليس وليد اللحظة بل هو نتاج شريعة الغاب. لـم يحـاول

العرب الأوائل تطوير دينهم حتي يتوائم مع أسباب الحضارة وأن يواكبها بل ظل جامدا فـي إنتظـار عودته من جديد حاملا بدل السيف القنبلة الذرية يدمر بها حضارة العالم لذلك لم يتغير جوهر أخـلاق العرب البربرية القائمة علي القتل والنهب وهم يتبعون في هذا أقوال الأوائل فعلي إبن طالـب يحـث الناس علي إغتنام الدنيا قائلا " إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وإعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "

ورغم أن الأمرين متناقضين فالأمر الأول يعني الإعتراف من الدنيا والثاني الزهـد فيهـا.. وحتي يزيل علي رضي ا   عنه هذا التناقض لجأ الي أرجوزة أن إزالة التناقض ليس عسيرا علي ا وكأن لسان حاله يقول أن علي الإنسان أن يعيش حياته بالطول والعرض وربنا في الآخر يعدلها.

أن التاريخ يؤيد ما ذهبنا إليه أن معظم العرب الأوائل لم تؤثر فيهم تعاليم الإسلام بـل كـانوا مثالاً للتعصب والأنانية وحب الذات ولم يستطع الإسلام أن يغير طباعهم أو همجيـتهم بـل إتخـذوا الإسلام وسيلة للتربح و الانهماك في الملذات مثل معظم متفقهي الدين في عصرنا هذا - لذلك لم يكن غريبا أن يموت الشيخ شعراوى مخلفا ورائه الملايين متمثلة في عقارات وأمـوال سـائلة وسـندات وأوراق مالية و هذا الحادث اليوم هو أيضا ما حدث في الماضي البعيد.. " فعثمان عفان " عندما قتـل ترك خمسة عشر ألف دينارا ومائة ألف درهما و ضياعا في وادي القري وجنين وغيرها قدرت قيمتها بحوالي مائة ألف دينار فضلا عن الخيل والإبل والسؤال من أين حصل عثمان علي كل هذه الأمـوال رغم أنه كان واحداً من الخلفاء الراشدين؟! وطلحة والزبير العوام وعبد الرحمن عوف وسعد وقـاص وعمرو العاص وخالد الوليد ومعاوية السفيان ومروان الحكم و عبد ا   عباس.. هؤلاء جميعا عاشـوا في بحبوحة من النعم لا تعد ولا تحصي وكان الإسلام لهم مرتعا خصبا للتربح وارتكب كثيرا مـنهم فظائع تشيب لهم الولدان من غدر وقتل لذلك فلم يكن غريبا في ظل تلك الأوضاع المتردية أن يقتـل " محمد إبن أبي بكر الصديق " " عثمان عفان " بعد أن تسور بيته وهو يقرأ القرآن وكان عليه إذا كـان حقا يؤمن بعقيدة الإسلام أن يتراجع عن قتل عثمان وهو يتلو آيات القرآن إذا لم يكن من أجل حرمـة الكتاب فمن أجل صداقة عثمان بأبيه أبي بكر الصديق!! لكن هذه هي أخلاق الهمج.. ولم يكن غريبـا أن يقسم عبد ا   الزبير لعائشة كذبا وهو يعرف إنه يكذب إن الكلاب التي نبحت عليها لم تكن كلاب " الحوائب " الذي كان الرسول يحذرها منها بل وأتاها بأعراب أقسموا زورا بذلك!لم يكـن غريبـا أن يحرض معاوية السفياني علي دس السم " للأشتر مالك الحارث " الصديق الصدوق لعلي أبـي طالـب وأشد الرجال خصومة لمعاوية لما عينه علي واليا علي مصر و قد خاف من بأسه وقوته لكن الأدهي تلك السخرية التي نضحت من تعليق عمرو العاص علي مقتل الأشتر " أن   جنودا من العسل "جعل عمرو من ا   شريكا في إثم قتل الأشتر!! وما ذكرناه ليس سوي نتف من كثير نعف عن ذكرها حفاظا علي شعرة معاوية مع الإسلام إيمانا منا أن كثير ممن أعتنقوا الإسلام لم يكن حبا فيه بل فيما يجنـون

من منافع ومن هؤلاء خالد الوليد وضرار وجندل أبطال الفتوحات الأولي الذي عاقبهم عمر الخطـاب علي السكر! " والمغيرة شعبه " الذي زني بأم جميل حينما كان واليا علي البصرة رغم أن عدد نسائه وسراريه تجاوز الستين وأبا موسي الأشعري وسعد أبي وقاص الذين عزلا عن ولا يتهما لتربحهما.

ربما يظن البعض إننا خرجنا هكذا عن موضوعنا الأصلي وهو تعصب العرب أبدا فالتعصب ليس سوي حماقة تجر خلفها كل الحماقات لأن المتعصب مريض يظن في نفسه التميز عن غيره مـن أجناس البشر وبالتالي فهو محصن ضد العقاب.. وهذا هو ما كان ينتاب العرب الأوائل من أحاسـيس عند غزو أي بلد.. الإحساس بالتفوق يستتبعه الإحساس بالحصانة.. أنه محصن ضد أخطائـه.. هـذا الأحساس تولد عنه اللامبالاة بحقوق الأخرين فالكل يعمل لخدمتهم.. كل هذا دفعهم إلي نمو الجانـب السيء من شخصيتهم والقسوة أحد فروعه.. ساعدهم هذا علي إرتكاب فظائع يشيب لها الولدان.. قسوة لا نجد لها مثيل في التاريخ سوى محرقة اليهود وحروب سيلا الروماني والحروب الصليبية ومجزرة الهيجينوت ١٥٧٤ م وصبرا وشتيلا.. هذه القسوة التي اتصف بها العرب مازالت ماثلة في الأذهـان عندما أحرقت جثة محمد أبي بكر الصديق في جيفة حمار وعندما قتل ابن أرطاه اتبـاع علـي فـي المدينة ومكه غدرا و ذبح بمدية في يده طفلي " عبد ا عباس " ولعل التاريخ لم ينسي فظائع جـيش الأمويين عندما دخل المدينة وسفك دماء أهلها ولم ينج من المذبحة صحابة النبي و التابعين والنساء.. وإذا كان البعض يري أن الدعوة في مهدها كانت في حاجة إلي هذه القسوة حتـي تخيـف أعـدائها ويدللون علي هذا بالمذبحة التي ذبح فيها الرسول بسيفه تسعمائة محارب من بني قريظة فقد سـقطت تلك الحجة بعد أن استتب لها الأمر واستعمرت أكثر بلاد العالم حضارة وتحضرا ولكن علي ما يتضح فهي صفات أو جينات لدي العرب فلم تنفك عنهم عقدة القسوة بعد اعتناقهم الإسلام بل ظلت تاجا علي رؤوسهم وعلما يرفرف علي أحفادهم وما يحدث اليوم في العراق هو الحادث أيام خلفاء بني أميـة.. نكلوا بالناس.. قتلوهم.. عذبوهم! فليس غريبا إذن أن يفكر معاوية في تقليص عدد المصريين بقـتلهم فهم ليسوا سوى قطيع أغنام يحل ذبحهم في أي وقت يشاء الحاكم.. والتاريخ خير شاهد علي مذابحهم فقد كانوا يقتلون المتمردين منهم ويمثلون بجثثهم فيطوفون بالرؤوس علي الرماح ثـم يـشونوها فـي خزانة أعدت خصيصا لذلك في دار الخلافة.. كل رأس في عبوة خاصة يكتب عليها اسـم صـاحبها ويصلبون الجثث أو يحرقوها وكان " الحجاج " والي " عبد ا مروان " قبل أن يقضي علي الـضحية بشق لحمه في مواضع عدة ثم يصب عليه الخل حتي يموت وقد وصل عدد ضحاياه مائـة وعـشرين ألف قتيل وخمسون ألف سجين وثلاثة آلاف امرأة والسؤال ما الفرق بين الحجاج وصدام مـا الفـرق بينه وبين مبارك و الاسد والقذافي وجمال عبد الناصر ومحمد الخامس والنميري ما الفرق بينه وبـين وأي حاكم عربي.. الكل قتل.. الكل سجن.. الكل عذب. الفرق ضئيل جدا ربما فـي أعـداد القتلـي

والسجناء وأسلوب التعذيب لكن كل الحكام العرب الحجاج يوسف الثقفي الذي قال مقولتـه الـشهيرة " إني أري رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لقاطفها " هذا التوصيف الرائع للعنف الدموى والحجاج يشبه الرأس بثمرة أينعها التمرد والعصيان وحان قطفها أو ذبحها.. هذا التوصيف لا يـصدر إلا مـن رجل قاسي قد قلبه من حجر فرأس الإنسان لديه مثل ثمرة علي شجرة في بستان!! فإذا كانـت هـذه نظرة الولاة للشعوب تقطف رؤوسهم إذا أينعت فما بال نظرة حكامها لابد وأن تكـون أكثـر قـسوة وضراوة فهم ليسوا أقل تعصبا بل هم يعيشون في مستنقع الكراهية والغدر.. كراهية يحملونها لكل من يعاني وطأة إستعمارهم.. والغدر لمن يتجرأ ويعلن التمرد والعصيان وأكبر مثل لهـذا "عبـد الملـك مروان" والذي عين الحجاج واليا علي العراق لقد أعطي الأمان ثم نكص عن وعده لحس وعده فـي اليوم التالي فعندما شق عليه قتال " عمرو سعيد " الطامع في الخلافة اتفقا علي الصلح بعد أن وعـده بالإمان وإلتقيا في دمشق وبعد أيام استدعاه عبد الملك ليلا في قصره ثم قتله! وكـان الخـوارج أشـد الناس دموية فقد كانوا يسلقون الأطفال في قدور تغلي بالمياه ويسلخون جلـود البـشر وهـم أحيـاء ويقطعون أطرافهم قبل أن يموتوا وينفخوهم ويصلبوهم.. فما أشبه البارحة باليوم فالخوارج الآن وهـم الذين نطلق عليهم إرهابيين يفتكون بمئات البشر بدءاً من العراق وإنتهاءا بـدول الإسـلام ومـرورا بالأمريكان والغرب.. يدمرون في طريقهم المباني والمنشآت.. يقتلون النـساء والأطفـال ويفجـرون الآمنين من البشر وليس هذا بغريب بعد أن إتخذوا من بعض آيات القرآن ذريعة للقتل و العقاب تلـك التي تحض علي قتال من ليس علي دين الإسلام وزاد الطين بلّه الإنتصارات التي حققوها وإستعمروا خلالها حضارات شتي منها المصرية والفارسية والبيزنطية تمكنوا من فرض همجيتهم عليها ورفضوا النهل منها فبات الإسلام حتي يومنا هذا غول مخيف حذار من يوقظه ولم تكن انتصاراتهم التي هزت أركان الكرة الأرضية سببها الدعوة بالحسني بل القسوة والعنف التي أتصف بها البربر الهمج و شغفهم الموت من أجل الإستشهاد والاستمتاع بملذات الآخرة فكانوا مثل الجراد التـي يحـط علـي الـزرع الأخضر!! ولم تغير الغزوات والحروب من طبائعهم بل قلبتهم إلي وحوش صغيرة تدمر كل ما يقابلها من حياة هذا هو حال الحكم العربي لكن ماذا عن المحكومين.. بعد إن استقر الإستعمار العربي فـي مصر إنقسم المصريون إلي ثلاث فئات الأقباط وكان يطلق عليهم " ذميون " والموالي وهؤلاء الـذي أسلمو من القبط والفئة الثالثة المميزة المسلمون العرب واختلف بالتالي أسلوب التعامل حسب إنتمـاء كل فئة.. فالمولي لا يعامل معاملة الحر والنظرة الغالبة له هي الازدراء والإحتقـار فيحظـر عليـه الزواج بعربية مسلمة ورغم أن الموالي كان لهم دور في إنتصارات العرب ونبغ فيهم كثيرون وتولوا إدارة شئون المجتمعات لكنهم مع ذلك ظلوا محتقرين.. لكن لم تكن تحصل منهم الجزيـة كمـا كـان يحدث مع الأقباط إلا إنه بعد أن ضعفت حصيلة الجزية في بعض البلاد التي غزاها الإسـلام نتيجـة

أسلمة أهلها قام الحكام بتحصيل الجزية منهم بالمساواة مع أهل الذمة حتي تستمر الحصيلة كمـا هـي دون تغيير وكان أن أثرت كبرياء العرب وغطرستهم في الموالي وتحولت إلي إحساس لديهم بالتـدني فاعتقدوا أنهم أدني درجة من الغزاة وأحط منزلة وأقل قدرة وإمكانيات وهو نفس حال المصريين اليوم مع طبقة الحكام المميزة كانت مغالاة العرب في إحتقار الموالي في عهد الأمويين أحد الـدوافع التـي دفعتهم لكراهية العرب فما كان منهم أي من العرب إلا أن وضعوا أحاديثاً نسبوها للرسـول تـدعوهم إلي حب العرب والإلتفاف حولهم من هذه الأحاديث " من أبغض العرب أبغـضه " لكـن المـوالي المصريين لم تخدعهم تلك الأحاديث التي نسبت للرسول ذلك لأنهم يعرفون مدي إستخفاف بني أميـة بالدين فقد إتخذوه مطية لتحقيق شهوتهم في السلطة وليس أدل علي ذلك ما فعلوه لمحمـد أبـي بكـر الصديق شقيق عائشة زوجه الرسول وهم يحرقوه داخل أحشاء حمار ميت.

وما فعله " يزيد معاوية " بالحسين ابن بنت النبي وما عقده الحجاج من مقارنة بـين الرسـول وعبد الملك يعلي فيها شأن الخليفة عن الرسول " أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله!! " ومـا قاله " خالد العشري " والي مكة أثناء حكم هشام عبد الملك " أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل علي أهله أم رسوله إليهم!! " وما فعله " الوليد اليزيد " عندما قلب صفحات المصحف فوقع نظـره علـي ورقة تتوعد كل جبار عنيد فأمر بالمصحف فعلقوه وأخذ يقذفه بالنبال حتي تمزق ثم قال بعدها أبياتـا من الشعر :

" اتتوعد كل جبار عنيد.. فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا لقيت ربك يوم حشر.. فقل يا رب مزقني الوليد "

ولم تكن اللامبالاة التي يكنها الأمويون للنبي ورسالته وليدة الساعة بل هي قديمة.. فقد كـانوا العدو اللدود لبني هاشم وكان أبو سفيان زعيما للمشركين والمحارب العنيد لمحمد في واقعـة أحـد و الخندق بل وكان آل معاوية بلا إستثناء لا يؤمنون إلا بالسلطة ويتخذون الدين مطية للوصـول إليهـا وظل هذا العداء المستحكم بين بني هاشم وآل أبي سفيان ينتقل إلي ذريتهم.. فمعاوية ناصب علي أبي طالب العداء رغم إنه كان القريب والحبيب للرسول وزوج إبنته الوحيدة التي أنجـب منهـا الحـسن والحسين و" يزيد معاوية " قتل الحسين حفيد النبي عليه السلام! بإختصار لم يكن الأمويـون يؤمنـون برسالة محمد ولا بنبوته. ولذلك لم ينخدع الموالي بأقوال الأمويين ولا بأحـاديثهم المدسوسـة التـي تحضهم علي التقرب منهم ذلك إن الحكم الأموي كان حكما عنصريا متعـصبا لـذلك عنـدما واتـت الموالي الفرصة أعلنوا العصيان وتطوعوا بالآلأف للإنتقام من مقتل الحسين وانضموا الي صـفوف " المختار عبيد " وبلغ عدد قتلاهم في المعركة بينهم وبين الأمويين ما يقرب من خمسة ألاف وثلثمائـة وكان موقف الموالي في كافة الدول التي غزاها العرب موقفا واحدا يجمعهم كراهية العـرب.. لكـن

أكثرهم كراهية الفرس ذلك لأنهم أذلوهم وقهروهم بعد الغزو وحاولوا القضاء علي هويتهم الفارسـية تماما بإحلال عادتهم وطقوسهم وعبادتهم وعلومهم الدينية ونظامهم الإجتماعي محل ما جـري عليـه مجتمعهم من عادات وتقاليد منذ مئات السنين و استطاعوا تسييس المجتمع الفارسي وتقبل الفرس هـذا علي مضض منتظرين اللحظة التي يجهزون فيها علي الحكم العربي ليمزقوه إربا إربا لـذلك ظلـوا يتحينون الفرصة لقلب نظام الحكم والاستيلاء علي السلطة لكن المشكلة التي واجهتهم أنهم لا يرغبون التخلي عن دينهم و عقيدتهم الإسلامية لذلك توصلوا إلي صيغه توفيقية توفق ما بين جنسيتهم الفارسية وبين إسلامهم بالإنحياز لبيت محمد لإنقاذ أنفسهم من الذل الذي نسج خيوطه العنكبوتية عليهم وحاولوا تفسير الآية الكريمة " إن أكرمكم عن ا أتقاكم " لصالحهم فالتقوي صفة جاءت عامة لتضم كل الفئات المسلمة سواء كانت فارسية أو مصرية أو تركية ولا يشترط أن يكون التقي قرشي أو عربـي حتـي يكون أكرم الناس. لذلك التف الفرس حول البيت النبوي كما التف العرب حول البيت الأمـوي حتـي تنتقل السيادة من العرب إلي الفرس المسلمين فالرسول لم يبعث فقط لقريش لكن بعث للعالمين لـذلك وجدت الدعوة آذانا صاغية من كل الموالي فرسا أو مصريين لأن انتشارها يعني رفـع الظلـم عـن الموالي... لذلك بايعوا زين العابدين بن الحسين وبايعوا بعدهم ثمانية آخرين من نسلهم آخرهم ابراهيم الملقب بالامام وكان داهية سياسي ناقما علي العرب عامه وعلي مضر قبيلة قـريش خاصـة دعـاة التعصب ضد الموالي والتقي إبراهيم الإمام بأبي مسلم الخرساني سليل أحد بيوت فارس العريقة والذي كان يحمل بذور كراهية أهل فارس للحكم الأموى وتطلعهم للتحرر منه... فسانده بعد أن وجـد فيـه رجاحة العقل ودعا الشيعة لطاعته قائلا " من أطاعني فليطع هذا فمن عصاه فقد عصاني " سار أبـو مسلم من مكة إلي خرسان واضعا وصية إمامه إبراهيم نصب عينيه أن يقتل كل من يشك في إخلاصه من الشيعة فقتل الكثيرين من ضمنهم بعض كبار الشيعة بعد أن شك في إخلاصـهم للأمـام إبـراهيم وإستمر أبو مسلم يساند الإمام إلي أن تأكد له إنهيار الدولة الأموية فرفع رايـات العباسـين الـسوداء ونادي بأبي جعفر المنصور خليفة للمؤمنين بعد مقتل الإمام إبراهيم.. وإلتقي بالأموين فـي موقعـة " الزاب " وانتصر فيها وبعد أن استقر الأمر لأبي جعفر المنصور خليفة للمسلمين بدأ يشك في نوايا أبي مسلم فخدعه وقتله وهو أعزل وأمر أيضا بدفن الشاعر " سديف " حيا بعد أن هجا العباسين ونتيجـة لقيام الدولة العباسية بدأ الإهتمام بالموالي فمن وصية المنصور للمهدي إبنه " أحـسن إلـي مواليـك وقربهم إليك واستكثر منهم فإنهم رفقائك وقت شدتك " ونفذ خلفاء المنصور وصيته فـزال التعـصب العربي للموالي وبالتالي بدأت قيود الزواج التي وضعها العرب تتحلل ومن خلال المساواة بين الموالي والعرب نشأ مذهب الشعوبية الذي يندد بالعرب ويفخر بالشعوب التي غزاها الإسلام فإذا تفاخر العرب بمحمد وخلفائه تفاخرت الشعوب الأخري بالفراعنة والقياصرة والأكاسير " جمع كسري " وبلـغ مـن

جرأة بعض الشعوبيين احتقارهم للعرب بقولهم " بماذا تفخر العرب عن العجـم فإنمـا هـم كالـذئاب والوحوش تأكل بعضها بعضا فرجالهم أسري ونسائهم سبايا " ورددوا أبيات الشعر التي تؤيد أقـوالهم وقالوا لا يفلح عربي إن لم يكن معه نبي ينصره وهذه حقيقة ثبت صحتها هذه الأيام فماذا كان العرب فاعلون بدون محمد نبيهم الذي يدعو لحج البيت.. أن السعوديون يحصلون سـنويا علـي مليـارات الدولارات علي حس دعوة الرسول عليه السلام دون أن يقدموا المقابل.. يشقون جيوب الفقـراء فـي كافة البلاد الإسلامية ليرفلوا هم في بحبوحة من العيش.. يفرضون عليهم الجزية مرة بالتهديد والوعيد النار الحارقة التي تنتظر كل من يرفض أداء شعيرة الحج ومرة بالأغواء.. ا الذي سيلبي الـدعوات وينصف المظلمون ويغفر الذنوب.. استبدلوا سلطة الاستعمار في تحصيل الجزية بسلطة الدين.. لذلك فالقول فيه كثير من الحقيقة بدون محمد ماذا كان يفعل السعوديون.. البترول ثـروة زائلـة سـنوات وينضب معينها.. يتحولون بعدها إلي مجموعة جرذان تتسول " المم " من الدول الغنيـة.. وإذا كـان البعض لا يروقه تشبيه الحج بالجزية فهو صورة من صور التسول الديني يستعمل فيه المتسول بـدلا من يده وسيلة الدين ليحصل علي الحسنة.. متسول تحت ستار الدين أو بارتداء عباءته!!

في هذه الفترة.. أي فترة حكم العباسين أصبح للموالي " المسلمين المصريين " وضع أفـضل في الدولة العباسية بعد مساواتهم بغيرهم من العرب المسلمين لكن ماذا كان موقف الدولة العباسية من القبط المصريين " الذميين ".. هل كانوا يتعاملون معهم بنفس منهج التسامح الذي كانوا يتعاملون به مع الموالي.. قبل أن نجيب علي هذا التساؤل سنرجع قليلا إلي حقبة ما قبل الدعوة لنتعرف علي موقـف العرب من العبيد.. كانت تجارة العبيد رائجة.. وإنتشرت أسواقها في طول قريش وعرضها.. وكـان أشهر نخاسيها " عبد ا جدعان " زعيم حلف الفضول وصاحب الوليمة الشهيرة التي زاحم فيها أبـو جهل محمد في شبابه فدفعه دفعة قوية ارتطم بعدها بالأرض فشجت رأسه وسال منها الدم فكان ذلـك أول حلقة في مسلسل العداء بينه وبين الرسول.. وإذا كنا قد أوردنا هذه القصة فحتى نستدل منها علي التكالب المفرط للحصول علي قطعة لحم في مجتمع تدني معه المستوي المعيشي إلي حد التقاتل مـن أجل وليمة.. ما علينا.. كان العربي يربط العبد من عنقه بعد شرائه في حبل وهو يسحبه إلي منزلـه تماما مثل ما يفعل مع الدابة فقد كان مثل الشيء من الممكن هبته أو إهدائه أوبيعه كما كان يتـوارث بين الورثة ولم يكن يخلو بيت من بيوت أشراف العرب من العبيد يستخدمونهم خدماً لأعمـال البيـت المختلفة من غسل وكنس وتنظيف أو يخرجون بهم إلي الحرب.. يستعملون المرأة للفراش فـإذا ولـد منها ولد يستعبدوه مثلها لكن إذا تفوق أحدهم كما حدث مع عنترة بن شداد إعترفوا بنسبه وهذا يجعلنا نتأمل عادات العرب وقيمهم التي تسطو عليها الأنانية وحب الذات فما كان للبنوة لديهم أي معني فإبنهم من صلبهم يصبح عبدا يباع كسلعة وهذا يستدل منه علي جفاف المشاعر ونضوب العواطف وتغلـب

الأنانية والمصلحة علي اعتبارات الأسرة والدم وحتي وقتنا هذا لم تتغير قيم العرب فالأسـرة لـديهم هشة ضعيفة والعربي يفضل مصلحته علي مصلحة أبنائه.. أناني.. متعجرف.. متسلط.. ولمـا جـاء القرآن بصم علي نظام العبيد وأيده بإعتباره إحدي دعائم الإقتصاد القريشي العربي.. حتي لقد تـساءل بعض المستشرقين في مجال إثبات بشرية القرآن.. فهل كان ا يجهل مبدأ المساواة بين البشر وهـو يقر العبودية والرق نظاما إسلاميا..أم أن هذا الاله ليس سوي إلها قرشيا من صنع محمد حاول بـسط قماشته المحدودة علي العالم كله فبان من تحتها التشوهات و العيوب.. لأن الأله العلي القدير الكامـل المتكامل لابد وأن يكون ملما بهذه البديهيات.. فالمساواة بين البشر بديهية.. ونظام العبوديـة وصـمة علي جبين البشرية.. والتجارة بالإنسان تجارة غير مشروعة محرمة تحريم البنـت علـي أبيهـا وأن الإسلام عندما روج لهذه السلعة المحرمة دوليا فلأنه إسلام شرعه أله قريشي من بنات إفكـار محمـد عليه السلام..هذا ما ردده المستشرقون " قد يختلف معهم البعض لكن هذه عقيدتهم.

نتيجة لغزوات الرسول إزدادت أعداد الأسري في صدر الإسلام أغلبهم من اليهود وفي الحقبة التالية أيام الخلفاء الراشدين ونتيجة لغزوات العرب البربرية لبلدان الحضارة تضاعفت أعداد الأسري فكانوا يأسرون الرجال ويسبون النساء والأطفال ثم يقتسموهم وربما أصاب ا لعربي الواحد القح مائـة أسير ومائة جارية في واقعة واحدة وذلك يؤيد ما تركه عثمان من ميراث عـريض فقـد بلـغ عـدد الاسري ألف أسير.

والسؤال الذي لم نجب عليه حتى الآن هل كان أهل الذمة " القـبط المـصريين " فـي حكـم العبيد؟؟ كانت معاملة العرب المسلمين تختلف من عصر إلي آخر حسب المزاج العربي السائد في ذلك العصر.. فتارة يلزمون القبطي علي تنفيذ المستحق والمستحب وتارة أخري يلزمونه فقط بالمـستحق أما المستحق فهو الامتناع عن ارتكاب احدي المحظورات الستة أولا الطعن في كتـاب ا أوتحريفـة ثانيا تكذيب رسول ا او ازدرائه ثالثا ذم دين الاسلام رابعا الزواج بمسلمة أو الزنـا معهـا خامـسا افتتان مسلم عن دينه والتعرض لماله أو ذمه.. سادسا مساعدة المتمردين علي الاسلام وإيوائهم.

أما المستحب الامتناع عنه أولا تغيير الملبس وشد الزنار.. ثانيا العلو علي مباني المـسلمين.. ثالثا دق نواقيس الكنائس أثناء صلاه المسلمين رابعا المجاهرة بشرب الخمر وباظهار الصلبان وشعائر الدين.. خامسا علانية دفن الموتي.. سادسا وأخيرا ركوب الخيل..

لقد عامل الغزاه قبط مصر بغلاظة وشدة أكثر من تعاملاتهم مع كافه الملل الأخري رغم حديث القرآن " ولتجدن أقرب الناس مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك لان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ".. والسبب أن العرب كانوا يتوجسون خيفة من المـصريين لتـاريخهم الطويـل العريق الحافل بالأمجاد ويخشون من عدم استكانتهم وخضوعهم لذلك تباري الحكام العربي في اذلالهم

واستعبادهم.. فلما استتب الامر للعباسيين استعانوا بالقبط لترتيب دواوين الحكومـة وقربـوهم إلـيهم واكرموهم وأغدقوا عليهم فاقبل القبط بهمة علي الأعمال وتقلد بعضهم وظائف هامة وبرعوا في الطب والترجمة والصيدلة وعلوم الفيزياء لكن هذا لم يمنع اضطهاد بعـض الخلفـاء العباسـيين فالمتوكـل أجبرهم علي طقوس شيطانية تميزهم عن غيرهم من المسلمين في السكن والملبس والشعائر.

وهذا كلة يدل علي غباء المتوكل وليس هذا بغريب علي رجل كان لدية أربعه آلاف جاريـة ضاجعهن جميعا.

واذيال صور هذا الاضطهاد ومازالت باقية حتي اليوم فمازالت الدولة ممثلة في النظام تفـرق بين القبطي والمسلم.. فمنعت عن القبطي الا في أحوال نادرة تقلد الوظائف القياديـة فـي المـصالح الحكومية والجيش والشرطة والقضاء حتي لقد نادي بعض مهاويس التطـرف الاسـلامي بحرمـان المسيحين من شرف الخدمة العسكرية طبقا لنظريه الغازي المسلم فلم يكن القبطي أبدا في يـوم مـن الايام مجندا في جيوش الغزاة المسلمين.

ولم تقتصر ذيول الماضي علي قصر تقلد الوظائف القيادية علي المسلمين وحدهم بل تعـدي ذلك الي الحكومة فبالكاد يتم تعيين إثنين او ثلاثه مسيحين أعضاء في الوزارة.. رغم أن المطلوب في مثل هذه الوظائف هو الكفاءة وليس الدين.. ويقف الدارس للتاريخ مدهوشا وقد خلي مجلـس الـشعب والشورى من المسيحين إلا من اعداد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة هذا الإحساس بالظلم التراكمي كان بمثابة بنزين يصب علي النار الموقدة وهو أيضا سبب ما نعاني منه اليوم من اضطرابات دينية وهـذا راجع في الأساس إلى تصور خاطئ من كلا الطرفين المسلم والمسيحي.. فالمسلم يعتقـد انـه يمثـل العربي الغازي الذي يحق له فرض الجزية علي المسيحي وما يستتبع ذلك من قيـود علـي حركـة حياته.. والقبطي يحلم بطرد هذا الغازي الذي يحلب البقره كما فعل الأسبان مع العرب.. الإثنين كمـا سبق أن أوضحنا مخطئين تماما.. فالمسلم ليس غازياً حتي يطرده المسيحي وكذلك ليس المسلم غازيا حتي يفرض الجزية علي المسيحي. علي هذه النظرة التعصبية المسطحة أن تختفي تماما من الـساحة وهي لن تختفي إلا مع قطع كل أزرع أخطبوط الماضي الإسلامي.

واعتناق قبط العرب للإسلام لم يكن نابعا من إرادتهم الحرة بل بسببه الضغوط الاقتصادية التي واجهتهم نتيجة ارتفاع سعر الجزية حتى لقد باع بعضهم أولادهُم لسدادها فكان دخول الإسلام أهـون عليهم من ذلك وكان بعض الخلفاء يجبرون الأقباط علي الإسلام وقصة " شمعلة " الذي حـاول أحـد خلفاء بني أمية إجباره علي الإسلام لكنه رفض.. فغضب الخليفة وأمر ببتر جزء من فخذه يشوى علي النار وأطعمه حتي يسلم لكنه رفض.. هذه القصة نستدل منها علي قوة العقيدة لدي المـسيحين لكـنهم ظلوا طوال فترة الحكم يتوقون للحرية البعيدة المنال عنهم بعد الأرض عن السماء وكلما هفت نفوسهم

للحرية ضيق عليهم العرب الخناق خاصة الأمويين الذين زادت جرعة اضطهادهم للأقباط المـصرين أورد المقريزي بعض صورها الجزء الثاني ص ٤٩٢، ٤٩٣ من ذلك مصادرة " عبد العزيز مروان " أموال بطريرك كنيسة الأقباط مرتين فاستولي علي ما يوازي ستة آلاف دينار وأمر بتحصيل جزيـة من كل راهب مخالفا بذلك ما جري عليه العمل منذ ولاية عمرو العاص مع المصريين وأحكم " عبـد الملك مروان " من قبضته علي المصريين وسايره في ذلك " قره شريك " مسئول الخراج ونظيـره " أسامة التنوخي " الذي استولي علي أموال الرهبان وأمر بتعليق حلقة من حديد في يد الراهب مـدون عليها إسمه وإسم الدير الذي ينتمي إليه والتاريخ وأمر بقطع يد كل راهب لا يعلق هذه الحلقـة وقـام بالتفتيش علي الأديره ليعرف مدى التزام الرهبان بأوامره وقبض علي كل راهـب لا يعلـق الحلقـة الحديد في يده و لم يكتفي ببتر اليد بل ذبح بعضهم وضرب آخرين ضربا مبرحا حتي الموت وهـدم كنائسهم وكسر الصلبان ومحي التماثيل وحرق صور القديسين ووشم قفا الأقباط وشما في صوره أسد فمن عثر عليه بدون وشم قطع يده وما تردد علي لسان البعض " جالك أسد " يذكرنا بما كان يفعله بنا الغزاة العرب.

هذه بعض صور من كل نستعيد بها ذكري أيام طغيان العرب علي المـصريين واسـتبدادهم واحتقارهم وازدرائهم لهم لكن أكثر الصور حدة ما فعله " مروان محمد " الملقب بالحمار لدي قدومـه لمصر هربا من بني العباس حيث قام بأسر عدد من الراهبات وحاول اغتصاب إحداهن فادعت إنهـا تملك دهانا إذا تدهن به حصنه ضد ضربات السيف وحتي يثق في صحة حديثها تدهنت به ثم طلبـت منه أن يجرب سيفه معها وظن أن سيعثر علي أكبر اكتشاف لو صح كلامها.. فضرب عنقها فقتلـت علي الفور وتأكد له أنها فضلت الموت عن أن يغتصبها.

ولم يقتصر الأمر علي الولاة بل تعدى ذلك إلي الملوك الذين شهد لهم التاريخ بالعنف والدموية والتعصب الأعمي غير المبرر.. وكان عمر عبد العزيز واحدا منهم فقد تجاوز تعصبه كل الحـدود.. من صور التعصب التي تدينه إنه كتب إلى الوالي العربي علي مصر كتابا يلزم به كـل مـصري لا يدين بالإسلام أن يرتدى علي رأسه عمامة وأن لا يتشبه في ردائه بالمسلمين كما حظر علي كل قبطي أن يعمل لديه مسلم أو أن يعمل لدى مسلما ومنع أيضا أقباط مصر من التعيين في مصالح الحكومة و لم يسمح لهم بضرب النواقيس وقت الأذان.لكن ما الذي دفع العرب للتمادي في هذا التعصب الأعمي.

أولا : تكوينهم الهمجي القبلي الذي يرفض التزاوج مع أي حضارة أخري ويفضل الصراع الذي إنتهي لصالح القوة الغاشمة.

ثانياً : اختلاف الحضارة المصرية القائمة علي التسامح والمحبة والأسرة عن طبائع الوافد الجديد الدموية التسلطية العنصرية.

ثالثاً : العنصرية الإسلامية التي كان يتمسك بها الملوك والأمراء العرب المسلمون ومعهم الـولاة تشبه في كثير من الوجوه تلك العنصرية النازية التي قامت علي تفوق العنصر الجرماني.

رابعاً : استسلام المصريين في بادئ الأمر شجع الغزاة علي التمادي في تعصبهم وتهديـدهم لهـم وإذلالهم ساند هذا التعصب احتقار القرآن للمصريين في كثير من آياته وهو يصمهم بالإجرام والفسق وكثير من الصفات التي تحقر الإنسان المصري في الوقت الذي يرفع فيه من منزلة العرب وهو يخاطبهم كنتم خير أمة أخرجت للناس.. هذا الكلام لا يخرج مضمونة كثيرا عن فلسفة الفيلسوف الألماني نيتشة الذي تبناها هتلر فيما بعد

خامساً : الرفاهية التي عاشها الحكام الأمويين كانت تحتاج لنفقات لذلك لم يكن أمامهم سوي المغالاة في الجزية حتي يتم تغطية تكاليف رفاهيتهم.

سادساً : نفقات الولاة ومخصصاتهم هم وعمال الخراج دفعتهم إلي استقطاع جزء ليس بالقليل مـن الجزية للإنفاق علي مباذلهم وشهواتهم لذلك أخذوا المصريين بالشدة وهم يحـصلون مـنهم الجزية أضعاف ما كانوا يحصلوه.. لذلك ومع استمرار الحال هكذا من سئ إلي إسـوء بـدأ المصريون يفكرون بجدية في التخلص من مرارة الظلم وعلينا أن لا نغمط المصريين حقهم ونتهمهم بالإستسلام والإذعان للغازي الأجنبي.. بل نستطيع القول بقراءة متأنية للتاريخ انهم قاوموا الغزو العربي الذي استمر من ٦٤٠ م حتي ١٥١٧م أي حـوالي ٨٧٧ عـام علـي فترات متقطعة ثم اعقبه بعد ذلك غزوا أشد وأنكي وأقبح وهو الغزو العثماني.

الفصل الرابع

ثورات أقباط مصر

لقد اضطهد الغزاة العرب أقباط مصر ولم يكن عمرو العاص المسئول الوحيد عن تعدد صور هذا الاضطهاد فقد سبقه إليه تعليمات عمر الخطاب والذي كان علي عمرو تنفيذها بدقه بل وغالي في تنفيذها " أن إختم رقاب القبط بالرصاص وليظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا علي الأكـف عرضا ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم المقريزي ص ٧٦ جزء ١ لكن ما السبب في هـذه التفرقة المتعسفة بين مسلمي المصريين و أقباطهم وبينهم وبين مسلمي العرب ما الحكمـة فـي هـذه المسافة الشاسعة في تعامل الحكم العربي مع الأطراف الثلاثة.. إن ما يردده البعض من أعذار واهيـة حول طبيعة العلاقة بين الغزاة والشعوب والتي كانت نظريتها سائدة في تلك العصور لا يبـرر بـأي حال من الأحوال صور القهر والتعصب ضد الأقباط مثل هذا الرأي غير منصف للمصريين الأقبـاط وليس مبررا للتفرقة بينهم وبين المصريين المسلمين.. لأن الولاء يجب أن ينعقد للوطن لا للعقيدة التي تختلف أطيافها من شخص لآخر لكن يبقي الولاء للوطن هو المحك الأخير في المعاملة مع المصريين قبط ومسلمين. وبالتالي فلا يمكن باسم الإسلام أن نبرر هذا التعسف في التفرقة بين مـصري قبطـي ومصري مسلم وعربي مسلم هذه التفرقة التي مازالت حتى الآن آثارها باقية في أسلوب تعامل النظام المصري مع القبط.. بل أيضا في تغلب النزعة الدينية علي كثير من مسلمي مصري والبعض ينـادي في حماقة بفرض الجزية علي القبط.. ومنع ترشيحهم لرئاسة الجمهورية وبقصر بعـض الوظـائف الحساسة علي المسلمين دون المسيحيين ومنها الجيش بل وذهب البعض إلى إلغاء جنـسية المـصري لتصبح هويته إسلامية وبالتالي يحكمه أي مسلم في العالم حتى ولو كان ماليزيا.. تتحول العقيدة إلـى جنسية و تتلاشى تماما الجنسية المصرية.. شعب بلا جنسية هو شعب نعاج يقوده تيس!! هذا التـيس لابد وان يكون أسلاميا!!

الكلام عن عنصري الأمة.. كلام خاطئ ذلك أن أساس مصر هو عنصر واحد مصري أمـا العقيدة فأمر طارئ.. لذلك فمثل هذا التقسيم مجحف بالمصريين وبـوطنهم وجنـسيتهم.. لقـد كـان المصريون قبل دخول الإسلام قبط وتحول معظمهم لمـسلمين لا ينفـي ديـانتهم الأولـى ولا يلغـي مصريتهم ولا يقسمهم لعنصرين.

والكلام عن أن المسيحيين في مصر أقليه قول مغلوط.. لان المسيحي والمسلم نسيج في ثوب إسمه مصر لا يمكن فرز خيط منه عن آخر وإلا تهرئ النسيج وإذا كان المسلمون لا يملكون مـصر وحدهم بل يشاركهم الأقباط فان دعاوى بعض المهاويس بفرض الجزية علي الأقباط وكأن المـسلمين غزاة دعاوى باطلة وفي المقابل فان مناداة بعض المخبولين علي الطرف الآخر بطرد المسلمين مـن وطنهم تأسيا بما فعل الأسبان.. مثل هذه المناداة لا يسندها التاريخ ذلك أن أجـداد المـسلمين كـانوا أقباطاً.. يا بهائم إفهموا الفرق بين مصر وأسبانيا شاسعا.. بعيد بعد الأرض عن السماء فالعرب كانوا

غزاة لأسبانيا لكن المسلمين المصريين هم أبناء هذا الوطن وأحفاد الأقباط وليسوا غزاه حتـي نطبـق عليهم حكم العرب في أسبانيا.. في كلا الفرضين المسلمون ليسوا غزاة حتى يفرضون الجزية علـي القبط وأيضا ليسوا غزاة حتى يطالب البعض بتحرير الوطن منهم أو ذبحهم.. أو سحلهم.

الكلام لا ينتهي عند هذه النقطة.. فما يعانيه المصريون داخل وطنهم هي بقايا ذيول الغـزو العربي الذي فرق ما بين المسلم العربي الغازي والمواطن المصري مسلما أو قبطيا حتي بين المـسلم والقبطي المصري وعلينا أن نتفهم جيدا أن مسلمي مصر ليسوا أحفاد العرب الأنجاس فهم ليسوا غزاة لهذا الوطن بل هم أبناؤه حتى ولو اختلفت الديانة وعلينا أيضا أن نتفهم أن الأقباط ليسوا تحـت حكـم غزاة مسلمين فتفرض عليهم الجزية بل لهم كافه الحقوق التي للمسلمين.. بتكرار هذا التوضيح المـرة تلو الأخرى نستطيع فك الاشتباك بينهما خاصة لو قطعنا عرق وسيحنا دم وألغينا كل ما يعكر صـفو تلك العلاقة بدءاً ببند الديانه في البطاقة وأنتهاءاً بمادة الدين في المدارس باعتبارهمـا أحـد الحلـول لمواجهه التطرف الديني من كلا الطرفين.. فالذي تحركه النزعة الدينية ليقتل قبطيا أو مسلما ثم نلصق التهم جزافا بمرضي نفسيين هذا لا يعالج المشكلة بل يزيدها تفاقما ذلك أن نبت هذه التفرقة بين المسلم والمسيحي ليس وليد الساعة بل هي بذرة أنبتها العرب الغزاة من خلال كتاب عمر الخطاب الذي فرق فيه بين القبطي والمسلم العربي هذه البذرة ما زالت تنبت زرعا شيطانيا يرعاه بعض المتطرفين مـن كلا الطرفين بالسقي والتسميد في المساجد والكنائس والمحافل حتى أينعت شجرة العنف والكراهية.

وفي محاولتنا لنبذ العنف والكراهية بين المسلمين والمسيحيين علينا أن نعود قليلا إلى الـوراء لنتعرف علي الأسباب التي دفعت عمر الخطاب لإنبات بذرة التفرقة في المجتمع المصري أول هـذه الأسباب أن العرب الهمج الذين غزوا مصر سيطرت عليهم نظرية العبد والسيد فالناس إمـا عبيـد أو أسياد وذلك كله راجع إلى الحياة التي كانوا يعيشها عرب أجلاف في بلاد يندر مائهـا ويقـل نتاجهـا داخل أكواخ من الطين وسعف النخل.. لا يعرفون الأسرة أو دورات المياه.. وفجأة تمكنوا بالسيف من غزو بلاد أكثر حضارة وتحضراً يفصلهم عن سكانها مئات السنين في عمر الحضارة.. لم يكن مثـل هؤلاء العرب مؤهلين للتفكير مثل تلك الشعوب المتحضرة وكان أمامهم وقتاً طويلاً للأخـذ بأسـباب حضارتهم خاصة وقد سادت مجتمعاتهم نظريه السيد والعبد.. حتى الأسياد كانوا درجات..هذه النظرية توغلت في عقلية العرب وكانت مصدر تعليمات عمر الخطاب لعمرو العاص بختم رقاب أهل القـبط بالرصاص فلا فرق بينهم وبين الدواب في مزرعة.. يتعرفون عليها إذا ضـلت طريقهـا أو سـرقت خاصة وقد أتي القرآن ليدعم هذه النظرة في مواجهه الشعوب المحتلة.

فقد ذكر عن العرب أنهم خير أمة أخرجت للناس إذن فباقي الأمم أدني وأقل درجـة وربمـا درجات.. ولم يكتفي القرآن بذلك بل جاء ليصم المصريين المستعمرين من العرب بأحقر الأوصاف.. فهم علي حد وصفه لهم قوم فاسقون.. كاذبون.. مفـسدون.. مـستكبرون.. ظـالمون.. مجرمـون.. يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم والحقيقة التي توصلنا إليها أن العرب هم الذين كانوا يتصفون بأحط الأوصاف والإسلام لم يهذب كثيرا من أخلاقهم.. والدليل علي ذلك أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين قتلوا شر قتلة فلم يغير الإسلام كثيراً من طبائع العرب وعاداتهم وتقاليدهم التي كانت تقـوم علـي النهـب والسلب والقتل ولا من أخلاقهم التي سيطرت عليها النزعة القبلية والأنانية والغزور.. ينظرون إلـى الشعوب المحتلة نظرة تعالي وهم يسومونها سياط الظلم.. عجبـا أن نـدين الاسـتعمار الإنجليـزي والفرنسي رغما عن مآثرهما الحميدة في الوقت الذي نهلل فيه للاستعمار العربي باعتبـاره مفخـرة وفتحا.. فأي فتح وأي مفخرة وهو لم يقدم لنا سوى التعصب الأعمى و التخلف الأسود وهو يـستعمل مصر بقرة حلوب يحلبها ليشرب لبنها.. نكاد نجزم أن الاستعمار العربي كان أسوء أنواع الاسـتعمار الذي قاست منه مصر كثيرا ولم نكد نفيق منه حتى داهمنا الاستعمار العثماني الأشد ضـراوة بغبائـه وشراسته فتخلفنا قرونا وقرونا. لذلك فكان من المنطقي أن ينسج الاستعمار العربي خيـوط التخلـف الممثلة في التمييز بين العبد وسيده فحظر عليه ارتداء جلباب طويل.. بل ميني تحت الركبـه بقليـل وأجبر علي حلق شعره زيرو وإظهار رقبته حتى يري الغادي والرائح وشم الختم علي القفا.. لكن هل حاد عمر الخطاب عن جادة الصواب بإصدار تلك الأوامر التي تفرق بين المصري القبطي والعربـي المسلم.. لابد أن نضع في الاعتبار أن هذه الأوامر كانت نتاج حضارة عاشها.. حضارة متخلفة مئات السنين عن حضارة البلاد التي غزاها.. لكن بمعيار حقوق الإنسان هذه الأيام فعلي عمر الفاروق تقديم الاعتذار عن هذه التفرقة العنصرية.. لكن علي أي الأحوال فنحن لن نمجد غازياً مستعمراً لوطننا كل همه حلب البقرة المصرية وإلا كان معني ذلك تمجيد كل الغزاة الـذين اسـتعمروا مـصر و أولهـم الهكسوس وآخرهم الفرنسيون والإنجليز حتى ولو نقلوا بعضا من حضارتهم إلينا بل علينـا أن نـدين الغزو ونشجبه.. والسؤال ماذا استفاد المصريون من الاستعمار العربي وقد كان العرب أكثـر تخلفـا منا.. بالتأكيد نقلوا إلينا تخلفهم مثل وباء اجتماعي حصد كل ما تلقنه المصريون عبر آلاف السنين من حضارة وتحضر.. وكنا أيضا سنصبح أكثر شأوا لو لم يغزونا عسكر ٥٢.. ثقافة المرعي والقـنص والترحال في الماضي يقابلها اليوم ثقافة العسكر المتدنية.. ثقافتين حكمتا مصر فـي حقبـة قديمـة و أخرى حديثة النتيجة الحتمية لتطبيقها إنهيار تام في المنظومة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. حقا فالتاريخ يكرر نفسه في الماضي والحاضر.. وفي النهاية نحن لا ندين عمر الخطاب علي تشريع هذه التفرقة الظالمة بين الأقباط المصريين والمسلمين العرب بقدر ما نحمل الثقافة العربية السائدة في هـذا

العصر المسئولية كاملة لإقرار هذه التفرقة.. فالإناء ينضح بما فيه.. وتدني الثقافة العربية الجاهلية في ذلك الوقت لا يمكن أن تنضح شيئا أخر وبالتالي لا يمكن للثقافة التي تصنف البشر إلى أسياد وعبيـد أن ترتقي لتساوي بين القبطي والمسلم فضلا عن ذلك قد ظل عمر لفترة طويلة من سني عمره قبل أن يسلم مشركا يعبد الأوثان ويقاوم دعوة الإسلام وهو يمتهن الفتونة ويحصل علي أتاوات من الحجـاج ويهددهم بسوط في يده يرهبهم به لدفع الأتاوة.. لا شك إن هذه العادات المتأصلة التي اكتسبها أثنـاء شركه قد أثرت علي حياته فيما بعد وما كان الإسلام بسماحته أن يغيرها بين يوم وليلة بل ظـل فـي بعض الأحايين محتفظا ببعض الشيء بعادات الجاهلية الأولى وهو يشرع التفرقة بين القبطي والمـسلم ضاربا عرض الحائط بالآية الكريمة " لا فرق بين عجمي وعربي إلا بالتقوى.. مما لا شك فيه أنه لا يوجد جرما اشد من الشرك با .. وعمر الخطاب كان مشركا فهو بهذا كان يسبح في الضلالة ولـولا هداية ا له لظل مشركا إلى يوم الدين وما أصبح واحدا من الخلفاء الراشدين!! وشتان ما بين عمـر الخطاب المشرك با قبل إسلامه وبين عمر الخطاب الذي إعتنق الإسلام والذي إعترف بخطأه أمـام إمرأة وهو يقول " أخطأ عمر و أصابت إمرأة " هذه التفرقة التي ابتدعها عمر في كتابه لعمرو العاص والي مصر ثقافة تربي عليها العرب أيام الجاهلية ولازمتهم في غزواتهم لبلدان الحضارة.. ومع ذلـك فاننا لا نبحث لعمر الخطاب عن تبريرات لسن هذه التفرقة الظالمة بين المسلم والقبطي وفـي نفـس الوقت نحن لا نمجد الغزو العربي لنرتقي به إلى فتح كما تعودنا أن نطلق عليه.. فكيف يكون الغـزو فتحا وقد نكل الغزو بالمصريين فختم علي رقابهم بالرصاص.. ومع ذلك فليس عمر وحده المـسئول عن ذلك بل أيضا الثقافة العربية التي كانت سائدة في ذلك العصر ولسنا هنا في مجال بحث جوانـب شخصية عمر.. الرجل الزاهد المتواضع الذي كان يقطن طوال حياته بيتا من الطين ويجهل القراءة و الكتابة رغم هذا فقد كانت له مواقف تنم عن شخصية عدول.. ذلك لأننا نناقش هنا قضية محـددة ألا وهي موقفه من المصريين الذي اتسم بالتعصب للجنس العربي وهذه بدايات التطرف.. مثل هتلر الذي كان يؤمن بتفوق الجنس الجرماني لذلك فقد كان عنصريا من الدرجة الأولى مع الفـارق بـين كـلا الطرفين.. فهتلر انتهي بتمزيق بلده والثاني انتهي بتمزيق العالم رغم أن كلا الاثنـين ماتـا ضـحية نظامهما الأول قتل والثاني انتحر..

بعد أن أصدر عمر الخطاب أوامره العنصرية تصاعدت حده كراهية المصريين للعرب خاصة بعد أن أمر بزيادة الجزية علي المكلفين بها أربعين درهما علي الفقراء و أربعه دنانير علي الأغنيـاء فضلا عن الحنطة والزيت والعسل والقماش واستضافة البيوت المصرية لمن ينزل بهم من خاصة أهل الإسلام لمدة ثلاثة أيام.. وكان أن توالت المصائب بعد رحيل عمرو العاص فقد أصدر " عبد ا أبـى السرح " الوالي الجديد أمرا بتحصيل دينارا علي كل رأس خارج الخراج ذلك كي تتحسن صورته أمام

عثمان عفان أخيه في الرضاعة.. ولما تولي الخلافة معاوية السفياني كتب إلى وردان مسئول الخراج أن يزيد علي كل رجل من القبط قيراطا!! ولما ناجزه " ناقشه " وردان عزله.. إلى أن غير عمر عبد العزيز نظام الجزية من النظام الفردي إلى الجماعي أي من شخصنة الجزية إلى مسئولية الجماعة عن سدادها بالكامل

أصاب المصريون الإحباط ولم يكن سبب هذا قسوة الجزية عليهم فقط بل أيضا التفرقة الظالمة في المعاملة بين المصريين الأقباط والموالي " المصريين المسلمين " وتملكهم اليأس تجـاه تـصرفات الغزاة العرب وفقدوا الثقة بهم بعد أن اتضح لهم أنهم أسوء بكثير من الروم خاصة ونتيجة لعجز أعداد كبيرة من المسيحيين في دفع الجزية فارتدوا عن المسيحية ودخلوا الإسلام.. أسلموا عنـوة حتـى لا يضطرون إلى بيع أولادهم و أملاكهم.. وكان لا بد أن تنتهي حالة يأس المصريين بـالتمرد والثـورة علي العرب الغزاة.. والثورات التي قام بها المصريون علي مدار تاريخ الغزو العربي لأكبـر دليـل علي كذب الادعاء أن المصرين كانوا مستسلمين انهزاميين أمام الغزو العربي وسنحاول أن نعـرض بإيجاز ما حدث من ثورات مرجئين التعقيب إلى ما بعد العرض.

سنة ١٠٧ هـ أثناء إمارة " الحر يوسف " علي مصر زاد الخليفة "هشام عبد الملك " الجزيـة قيراطا علي كل دينار " جزء من المديثار " بناء علي نصيحة عبد ا الحجاب عامل الخراج في ذلـك الوقت فثارت أهالي أقاليم قربيط و طرابية و الحوف الشرقي فبعث الحر لقتالهم العرب المرابطين لكن أوقع بهم الأهالي هزيمة نكراء فخرج الحر بنفسه في جيش كبير وقاتلهم لمدة ثلاثة شهور واسـتطاع أن يخمد الثورة بعد أن قتل من المصرين والعرب الكثيرين.. بعدها نقل الخليفة " هشام عبد الملك " " الحر " إلى أسبانيا ولم تمر سوى أربع عشر عاما حتى ثار أهل الصعيد ثورة عارمة وقـضوا علـي أتباع العرب في الجنوب إلا أن "حنظله صفوان " والي مصر آنذاك استطاع بجنده الكثيف العدد الجيد العدة إخماد الثورة.

وفي سنة ١٣٢ هـ قام الأهالي في سمنود تحت إمره شاب قبطي بالثورة علي العرب وكونوا جيشا قويا استطاع اجتياح العرب في مواقع عدة لكن للأسف لم يكن حظهم أوفر مـن سـابقيهم فقـد تصدي لهم عبد المالك مروان في معركة شرسة عند بلده " جشن " وقتل الثائر في كثرة من أصحابه.

هذه الهزائم لم توهن من عزم المصرين بل كانت أشبه بالنار التي أججت صـدورهم فمـا إن أصاب الخلافة الأموية الوهن والضعف وهزمت جيوشهم في واقعة " الزاب " مع العباسين قاموا بثورة عارمة قتل فيها أعدادا كبيرة من المسلمين واستشهد أعدادا أكبر من القبط إلا أن مروان الحمار آخـر خلفاء بني أمية أرسل لهم عثمان الذي استطاع بقوة جنده وعتاده هزيمة المصريين.

في سنة ١٥٠هـ قام المصريون بتجميع جيوشهم في سخا بعد أن استعدوا وتحصنوا والتقـوا بالعدو في معارك عدة حققوا فيها النصر ثم ساروا إلي شبرا سنباط وانضم إلـيهم أهـل البـشرود و الاريستير والتخوم فتزايدت قوتهم لكن والي مصر " يزيد حاتم المهاب صفره " حشد لهم جيوشه تحت قيادة " نصر حبيب " واستطاع المصريون هزيمهتم هزيمة ساحقة بعد أن نصبوا لهم كمينـا.. بعـدها تراجع المصريون لكن أثناء تراجعهم حرق الأعداء معسكر المصريين فحدثت حالة من الفوضى. لكن هذه الثورة ظلت مشتعلة سنينا طويلا قبل أن يتم إخمادها.

في سنة ١٥٦هـ أي بعد ست سنوات عندما كان " موسى رباح " واليا علـي مـصر خـرج المصريون في ثورة عارمة استطاعوا خلالها قتل كثير من الأعداء العرب لكن لم تستمر كثيرا نـشوة النصر فقد تمكن العرب بالخديعة والدسيسة هزيمة المصريين

بعد هذه الواقعة تملك المصريون اليأس فقد فشلت ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى ولم يتمكنوا من طرد العدو لذلك خلدوا إلى السكينة حتى سنة ٢١٦هـ أي بعد ما يقرب من ستين عاما ثار المصريون وظلت هذه الثورة مشتعلة لفترة زمنية طويلة التقي خلالها المصريون بالعرب في مواقع عدة انتصروا فيها حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدني لطرد العدو العربي وعندما تأكد للخليفة المأمون فشل الـوالي في إخماد الثورة قدم بجيوشه إلى مصر في ٢١٧ هـ والتقي بالثوار في واقعة "البـشرود"واسـتطاع حصارهم حتى استسلموا لحكم الخليفة الذي أمر فيهم كما أمر الرسول في بني قريظة.. فقتل الرجـال وسبي وباع النساء والأطفال فعل ما فعله الأسبان مع المسلمين رغم الفـارق الـشاسع بـين الإثنـين الأسبان كانوا يحررون وطنهم أما العرب فكانوا غزاة لوطننا وفي الحقيقة كانت مجزرة تلك التي أمر بها الخليفة الجزار المأمون فقد قتل آلاف الرجال وظلت هذه المجزرة محفوظة فـي أعمـاق نفـوس المصريين الذين تملكهم اليأس والإحباط في تحرير وطنهم من الغازي العربي.

هذه الثورات وغيرها كثير سبقتها ثورة اشتعلت في بداية الغزو العربي لو نجحت لكنـا الآن في مصاف أكبر الأمم.. فقد شعر المصريون بعد حقبة قصيرة من حكم العرب أنه اشد وطأه من حكم الروم فهم رقيق أذلة ضائعين لذلك كانوا يتحينون الفرصة للانقضاض علي هـؤلاء العـرب الغـزاه خاصة بعد تأكدهم أن اختلاف الروم معهم في المذهب أخف وطأه من اختلاف الديانة المـسيحية مـع الإسلام.. لذلك لم ينقطع الاتصال بينهم وبين الروم ولم تمضي أربعة سنوات علي الغزو العربي حتى عرف المصريون أن مصر ليست سوى سلة العرب وأنهم ليسوا سوى عبيد خاصة بعـد أن تمـادي عمرو العاص في تصرفاته الحمقاء تجاههم وهو يميز بين الأقباط والمسلمين لذلك قـام المـصريون بدعوة الروم إلى الإسكندرية وفتحوها لهم وانضموا لصفوفهم و معهم أهل القرى والنجـوع وكانـت فرصه ذهبيه لهزيمة العرب لولا أن المقوقس للمرة الثانية خان قضية بلاده وانضم إلى العرب بمن معه

من الاتباع وخرج مع العرب للقاء المصريين و الروم وكانت معركة حامية عقر فيها فـرس عمـرو العاصي وبدأت الهزيمة تخيم عليه وعلي قومه و الخونة لكنه عاد إلى المعركة وهاجم وجنده بشراسة واستطاع أن يلحق الهزيمة بالمصريين والروم وقتل الثائر " مانويل " المصري الذي قاد المـصريين في معركة التحرير.

صور من إرهاب الغزاة:

يخطئ من يتصور أن حضارة العرب قامت علي السلام.. بل نهضت علي السيف وانتصرت به منذ غزوه بدر ثم أحد ثم الخندق ثم حروب تصفية اليهود من المدينة حتى لقد بلغ غزوات الرسول أو حروبه مائة غزوة وغزوة قبل أن يتولاه ا برحمته وبعد وفاته نشبت حروب الردة وانتصر فيهـا أبو بكر الصديق وصحابته ولو انتصر مسلمة ما قام لحزب محمد قائمة وما كنا سـمعنا عـن الـدين الإسلامي وربما حل مكانة الدين المسلماني!! أثناء خلافة إبى بكر وعمر الفاروق اتسع نطاق الغـزو العربي فشمل بلاد فارس ومصر والشام وانتصر بربر قريش علي تلك الحضارات بالـسيف.. وبعـد انتقال الخلافة لآل معاوية لم تتوقف الحروب بين الامويين والعلويين تلي ذلك حروب العباسيين.

عاش العرب طوال فتره حكمهم في حروب مع بعضهم البعض أو مع جيرانهم وهـذا لـيس بغريب عليهم فهذه هي حياتهم القائمة علي سفك الدماء والقنص والكر و الفر والسلب والنهـب.. لقـد بدأت الفتنة الحقيقية عندما قتل عثمان علي أيدي مجموعة من الخوارج أحدهم محمد ابن أبـى بكـر تلاها الفتنة بين معاوية وعلي الذي كافئ محمد أبي بكر لقتله عثمان بتعيينه أميرا علي مصر ودخلهـا عام ٣٧ هـ فقام بالانتقام من شيعه عثمان فهدم بيوتهم ونهب أموالهم وسجن أتباعهم لكـن بعـد أن استقر الأمر لمعاوية عقب مقتل علي أرسل لمصر عمرو العاص في جيش من أهل الشام فقاتل محمد أبى بكر قتالا شرسا انتصر فيه وهرب محمد إلى إحدى الخرائب فعثر عليه " معاوية أبن حديج " أحد قادة عمرو العاص فذبحه ثم جره من ساقيه مثل كلب وطاف به المدينة قبل أن يضع جثته داخل جيفة حمار ويحرقه.. حدث هذا لابن إبى بكر الصديق الأخ الشقيق لعائشة زوجة الرسول وابن ثاني اثنـين في الغار.. ولما ذهب بن حديج بقميص محمد أبي بكر الملوث بالدم لدار عثمان عفـان أقـام أهلـه الأفراح وارتدت نائلة أرملة عثمان التي قطعت أناملها وهي تدافع عن زوجها عند اغتيالـه القمـيص الملطخ بالدم ورقصت به بين الرجال وقبلت قدم معاوية إبن حديج بل وقامت أخت إبن حديج بإرسال خروف مشوي إلى عائشة أرملة الرسول وقالت لها "هكذا شوى أخوك " فأقسمت عائشة ألا تأكل شوائا حتى تموت.. رغم هذا فقد ظلت علي عدائها بعلي أو بمعني أصح لذكراه بعد موته بل وشاركت أثناء حياته في واقعة الجمل ضده ولم تنسي أبدا أن علي طلب من الرسول طلاقها و ألح في طلبـه وهـو

يقول له " طلقها فالنساء كثيرات " حملت عائشة نصيحة علي أنه اتهام لها بالزنا مع صفوان لذلك ظلت علي كراهيتها و عدائها له وهو حي ولذكراه وهو ميت وحتى بعد مقتل شقيقها علي أيدي خصوم علي.

لا شك أن دولة العرب قامت علي استراتيجية سفك الدماء والخديعة والغش واستمرت علي هذه الوتيرة حتى في العصور المتأخرة فلم يتوقف نزيف الدم طوال فترة حكم العرب لمصر.. بعد موت " يزيد معاوية " السفياني قاتل الحسين نشب صراع بين عبد ا الزبير الذي نادي لنفسه بالخلافة وبين مروان الحكم.. هذا الصراع انتهي بحرب ضروس بين المتصارعين هزم فيها عبد ا بمكة سنة ٧٢ هـ ولم تسلم مصر من هذا الصراع الدموي ونشبت معركة فاصلة بين اتباع كلا الطرفين بعث مروان الحكم الخليفة بجيش جرار بقيادة إبنه عبد العزيز الذي عسكر في مدينة آيله علي شاطئ البحر الأحمر وسرعان ما اشتبك مع أشياع عبد ا لكن انتهت الحرب بينهما بعقد صلح ودخل مروان الفسطاط وبايعه جمهرة الناس إلا نفرا قليلا ضربت أعناقهم.

استتب الأمر بمصر حتى سنة ١٢٧ هـ في أثناء ولاية حسان في عهد مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين.. حيث تفشي الفساد وشاعت الفوضى وارتفع سعر الجزية مما دفع المصريون إلى المطالبة بخلع مروان و حصاروا الوالي حسان في بيته ونادوا بحفص أميرا علي مصر لكن لم تمر شهور حتى استطاع حوثرة سهيل الذي أرسله مروان الحمار لمصر من القبض علي حفص واتباعه.

وعندما إنهارت الدولة الأموية بعد معركة " الزاب " رفع الأهالي بالإسكندرية والصعيد والحوف الشرقي وأسوان اعلام العباسين السوداء ووقعت حروب شرسة بين اتباع الأمويين والعباسيين انتهت بانكسار الأمويين بعد قتل مروان الحمار واسر حفيد ابن نصير وذبح الآلاف من شيعه بني أمية.

استقر الحكم للعباسيين إلى أن حدث صراع حول السلطة بين الأمين والمأمون وامتد هذا الصراع إلى أشياع الطرفين في مصر لكن بقتل الأمين استتب الأمر للمأمون بعد حروب طاحنة ظلت الفتنه خلالها تدق رخاء مصر واستقرارها وتمزق كيانها اكثر من سبعه عشر عاما عمر الفتنة.

ولم تهنا مصر كثيرا بالاستقرار فعادت الفتنه تطل برأسها بعد ثلاث سنوات من الاستقرار في عهد السفاح والمنصور باكورة خلفاء بني العباس ذلك أنه أثناء خلافة " المهدي المنصور " وولاية " إبراهيم صالح " علي مصر دعا " دحية المعصب " المرواني الأموي لنفسه بالخلافة وظل يناضل لتحقيق هدفه وتجمع الناس حوله حتى سيطر علي الصعيد فقام الخليفة بعزل والي مصر ونصب مكان " موسى مصعب " وكان من أسوء الولاة فقد ضاعف الخراج علي كل فدان وسن ضريبة علي

الأسواق والدواب وانتشرت في عهده الرشوة حتى شملت القضاء.. ونتيجة لهذا عم السخط والغضب لدي الأهالي فثارت قبس واليمانية واتفقوا مع أهل الفسطاط علي إسقاطه.. رغم كل هذا فقد أرسل موسى جيشا لقتال " دحية " في الصعيد وخرج هو بنفسه لقتال الثائرين من أهل الحوف إلا أنه هزم واستسلم وقتل بهذا أصبح الطريق مفتوحا أمام " دحية للخلافة لكن أثناء هذه الأحداث مات " المهدي " وخلفه ابنه " موسى الهادي " الذي أرسل جيشا قويا إلى دحية واستطاع أن يهزمه ويأسره ثم قتله بعد ذلك.. ظلت الجند العربية المرابطة في مصر شوكة في حلق الحكم العباسي وكان لابد من القضاء علي تلك الشوكة لذلك جهز هارون الرشيد الخليفة سنة ١٧٤ هـ جيشا قويا تحت قياده " إبراهيم صالح " الذي استطاع بحنكته وخبرته الحربية أن يخرجهم من مصر ليركبوا البحر وليأسرهم الروم وذلك سنة ١٧٥ هـ وكان هذا هو بدء اندثار دوله العرب بمصر..

وفي سنة ١٧٧ هـ نصب الرشد " اسحق سليمان " واليا علي مصر فزاد من الخراج علي المزارعين الذين أرهقهم فثار أهل الحوف عليه فقاتهلم لكنهم استطاعوا هزيمتة فما كان من الرشيد سوى أن يرسل إليهم جيشا تحت قيادة " هرثمة " أحد كبار القادة فما أن نزل بجيشه للحوف حتى أذعن له المصريون لكنهم عادوا في سنة ١٨٦ هـ فأعلنوا العصيان علي " الليث فضل " ورفضوا دفع الخراج وسارعوا نحو الفسطاط لقتاله وبعد معارك دامية هزم المصريين رغم هذا ظلوا علي عنادهم وامتنعوا عن دفع الخراج وفي سنة ١٩١ هـ.. ثاروا من جديد تحت لواء " أبو النداء " المصري أحد المناضلين الذي خرج بألف رجل بآيلة وقطع الطريق بين مصر والشام فسير الخليفة جيشا بقيادة " يحيي معاذ " إلى بلبيس لإجبار أهل الحوف وأميرهم علي الإذعان لدفع الخراج ولما فرغ من أمرهم استقدم كبار الثوار بخدعة التفاوض معهم وقبض عليهم وسجنهم.

ولما مات الرشيد وخلفه ابنه محمد الأمين ثار جند مصر وحدثت فتنة كبري قتل فيها المئات فأرسل الأمين جيشا بقيادة " حاتم هرثمة " وعندما وصل بلبيس تفاوض معهم أهل الحوف ووافقوا علي دفع الجزية لكن رفض بعض أهالي الوجه البحري الاستسلام فسير إليهم عسكراً فهزمهم ودخل الفسطاط ومعه مائة رهينة.. غير أن " السري الحاكم " أحد كبار رجال الدولة العباسية أعلن العصيان علي الأمين ودعا الناس إلى خلعه فاستجابوا له وبايعوا المأمون فما كان من الأمين إلا أن حرك جيشا عقد علي لوائه " عباد محمد " للقضاء علي هذه الفتنة لكن بموت الأمين أخمدت نارها.

وبعد ثلاث سنوات اشتعلت من جديد الفتنة عندما أساء عامل الخراج في مصر معاملة المصريين فزاد عليهم الخراج فثار أهل أسفل الأرض " الدلتا " واستطاعوا هزيمة جيش " محمد الجلودي " وقتل أصحابه فصار إليهم المعتصم إبن هارون الرشيد في جيش من الأتراك قوامة أربعه آلاف جندي حارب بهم أهل الحوف فهزمهم ثم دخل مدينة الفسطاط.. لكن ما إن غادر مصر إلى

الشام حتى ثار من جديد أهل الحوف لكنها ثورة انتهت كباقي الثورات إلى هزيمتهم واسـتمر الحـال علي ما هو عليه من الاضطراب حتى نصب الأمير عيسي ابن المنصور سنة ٢١٦ هـ واليـا علـي مصر الذي أساء معاملة الأهالي هو وعماله فثار أهل أسفل الأرض. العـرب والمـصريين أقباطـاً ومسلمين وكانت هذه هي الفتنة الكبرى التي قضت علي كيان القبط والمـسلمين والعـرب ذلـك لأن المأمون قدم بنفسه إلى مصر في جيش قوى وعزل الأمير عيسي قائلاً له " لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعالك وفعل عمالك.. حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر حتى تفاقم الأمـر واضـطرب البلد " ثم عمل علي إخماد الثورة فجرت الدماء في جميع أنحاء مصر ولما تولي المعتصم ابن هارون الرشيد الخلافة أضطهد العرب فقطع عنهم العطايا وفصلهم من الديوان وعين مكانهم الأتراك فكان هذا نهاية دولة العرب ونهج خلفاء المعتصم نفس النهج فقللوا أعداد العرب في وظائف الدولـة وخاصـة الجيش حتى وصلوا إلى منعهم عنها نهائيا فكان " عنبسه ابن اسحق " في خلافة المتوكل آخر رجـال العرب المحترمين في الوظائف العامة.

لم يرضى هذا العرب في الإسكندرية فثاروا تحت قياده " جابر الوليد الذي سمي حي سـيدي جابر باسمه لكن تصدي لهم " مزاحم خاقان " وهو قائد تركي غليظ القلب تملكته شهوة القتـل والـدم فسحق الثورة ثم توجه إلى الحوف وهزم العرب هزيمة شنعاء بعـد أن أصـابهم الانحـلال الخلقـي والانحطاط العقلي كما كانوا أيام الجاهلية.. بعدها اتجه إلى الفيوم فقتل المئـات بعـد أن ولـي أمـر الشرطة " أزجور " وكان فظا.. غليظ القلب.. قاسيا فمنع النساء مـن الحمامـات والمقـابر وسـجن المخنثين و النوائح ومنع الجهر بالبسملة في صلاة المساجد و أمر بتمام الصفوف واستقامتها في صلاة الجماعة ينفذ الأمر رجل أعجمي يقف في مؤخره الصفوف وبيده سوط وأن تصلي التـراويح خمـسا بدلا من ست وأن يؤذن يوم الجمعة في مؤخرة المسجد ونهي أن يشق ثوب علي ميت أو يسود وجـه أو يحلق شعر أو تصيح إمرأة وعاقب علي ارتكاب أي أمر نهي عنه عقابا قاسيا ولم تنجو مصر مـن الفتن الدينية بجانب الفتن السياسية رغم قلتها.. فقد ظهرت فئة الخوارج في عهد علي أبى طالب عندما اعترضوا علي تحكيم المصاحف بينه وبين معاوية.. وكان الخوارج يشعلون النار في كل شـئ وقـد تعددت مذاهبهم وبدأت محنة الفتنة الدينية في مصر عندما اضطهد المأمون القـائلين بأزليـة القـرآن خلافا لما يعتنقة هو من نظريه خلق القرآن بل وبدأ في عقاب كل من يخالف رأيه وظلت نظرية خلق القران سائدة في الفترة من ١٢٨ هـ حتى ٢٣٢ هـ إلي أن أبطلها الخليفة المتوكل الذي اضطهد هو الآخر كل من يقول بخلق القرآن خاصة من ينتمون للبيت العلوي ويشايعوه فقد سأل " يعقوب السكيت " أحد فقهاء اللغة في ذلك الزمان :

- أيهما أحب إليك إبناي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين

فرد ابن السكيت قائلاً :

- وا إن قنبرا " خادم علي " خير منك ومن إبنيك

وهو بهذا تخطي حدود اللباقة والأدب فأمر المتوكل ببتر لسانه فمات في لحظتها. واشتد اضطهاد المتوكل وحلفائه لليهود والمسيحيين فضيق عليهم الخناق فقلت جهودهم في البحث والتنقيب عن نفائس الحضارات الآخرى.

نستطيع القول ان مصر لم تواجه فتن دينيه كما هو حادث اليوم في الكثير من البلدان العربيه بين الأطياف المختلفة لكن السؤال ما حظ مصر من الأوبئة و المجاعات.. لا شك إن ثورات المصريين والحروب الأهلية والغزو الأجنبي كانت كفيلة بتخريب ثروات البلاد نضيف إلى ذلك الأوبئة والمجاعات.. لقد ذهب البعض ومنهم " أبو بكر ابن وحشية " في كتابه الفلاحة القبطية إلى أن انتشار الطاعون والدمامل سببه تلوث ماء النيل بالأوساخ والرمم وأنه بعد أن يتسرب بعفونته إلى الأرض ينتج عنه الدود والفئران والثعابين والعقارب والذنانير والذباب.. هذا ما يقوله أبو بكر ابن وحشيه أما المقريزي فيقول في كتابه عن العاصمة " من شأن أهل الفسطاط أن يرموا الميتة من السنانير والكلاب وغيرها من الحيوانات في شوارعهم و أزقتهم فتتعفن وتخالط عفونتها الهواء.. ومن شأنهم أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول الحيوانات وجيفها.. وخرارات كنفهم تصب فيه وإذا كان الشتاء و أول الربيع حمل من البحر المالح سمك كثير فيصل إلي هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة فيباع و يأكله الأهالي ".. وقال ابن سعيد في كتابه "الكمائم" عن الفسطاط لا ينزل المطر فيها إلا في النادر وترابها تثيره الأرجل وهو قبيح اللون تتكدر منه أرجاؤها ويسود بسببه هواؤها " وهو قائل هذه الأبيات اللعينة!!

لقيت بمصر أشد البوار.. ركوب الحمار وكحل الغبار

وخلفي مكار يفوق الرياح.. لا يعرف الرفق بهمي استطار

أناديه مهلا فلا يرعوى.. إلى أن سجدت سجود العثار.

لا عجب إذن مع كل هذه القذارة والتلوث والثورات والفتن والحروب وعدم الاستقرار أن تنتشر الأوبئة والأمراض.. أما المجاعات فكانت مواسمها أثناء التحاريق ذلك أن عصابة قريش التي حكمت مصر لم تكن تعرف الأنهار والترع وبالتالي لم يكن لها دراية بالسدود أو الخزانات كما كان الحال أيام قدماء المصريين حيث بلغ علمها درجة عالية في التقنية أيام الأسرة الفرعونية الثانتة..

هذا عن التلوث أما الأوبئة فلا يذكر التاريخ لنا سوى طاعون عبد العزيز مروان سنة ٧٠هـ وكان أميرا لمصر في ذلك الوقت لأخيه الخليفة عبد الملك مروان.. فلما اشتد الوباء هجر عبد العزيز الفسطاط إلى حلوان واتخذها دار للمسكن ورغم حيطته قد مات بنفس المرض.

أما المجاعات فثلاثة الأولي عندما كان عبد ا عبد الملك واليا علي مصر وفي خلافة أخيه " الوليد " ومن أقوى مسبباتها فساد الأمير وحاشيته والرشوة التي كان هو بطلها.. والثانية أثناء ولاية " المغيره الفزاري " في خلافة مروان الحمار أحد خلفاء الأمويين فرهن المغيرة ذهب نـسائه وحلـيهن لدي التجار واشتري بقيمتها قمحا ووزعه علي الفقراء والثالثة أثناء ولاية " يزيد حاتم المهلبي " أثنـاء خلافة أبى جعفر المنصور فقد شحت مياه النيل وعجز الفلاحون عن زراعة الأرض ومـات الفقـراء جوعاً

والسؤال أين كان يعيش المصريون في مصر.. بمعني أوضح المساحة التي كان يشغلونها في مصر الشاسعة الأبعاد.. إننا لا نجد في التاريخ سوى مبالغات فمن قائل أن مساحة مصر مائه وثمانين مليون فدان واربعمائه وثمانون محراث ومائه وخمسون مدينة وعدد سكان مصر أكثر مـن ثلاثـون مليونا وأن عدد الذكور الشباب فقط بلغ ثمانية مليون وكلها مبالغات لا أساس لها من الصحة فمـساحة مصر المنزرعة لم تتجاوز أربعين آلف كيلو متر مربع وعدد سكانها لا يربو عن عشرة مليون. أمـا مزروعاتها فكانت القمح والقرطم والشعير و الفول والعدس والحمص والسمسم والترمس و البصل و الثوم والقلقاس و الكرنب و الباذنجال و اللوبيا والبطيخ و الفجل و اللفت والكتان و قـصب الـسكر و التيل والتوت و اللوز والخوخ و المشمش و الموز و التمر و الياسمين والريحان.

وكان خراج مصر في عهد بني أمية يتراوح ما بين المليونين ونصف وثلاثة ملايـين دينـار فضلا عن المكوس التي كانت تفرض علي كل تاجر مسلم يأتي بتجارة من الخـارج بنـسبه ٢,٥ % خمسة دراهم علي كل مئتي درهم وهو ما يطلق عليها الآن ضريبة الجمارك وعلي كل تاجر قبطـي بنسبه ٥% درهم من كل عشرين درهم ثم أبطله عمر عبد العزيز وشبهها بالنجس لكن أعادهـا أبـو جعفر المنصور و أضاف إليها ضريبة جديدة علي المحال التجارية.. وكانت العملة عند الغزو العربي الدنانير ذهبية والدراهم فضية.. فإذا ضرب الدينار فضة كان وزنه ثقيلا مماثل فـي قيمتـه الـدينار الذهبي وكانت في الأصل دنانير أو دراهم رومية إلا أن عبد الملك المرواني سنة ٧٦ هـ أمر بضرب دنانير ودراهم عربية وكان يكتب علي أحد وجهيها في الوسط " لا اله إلا ا وحده لا شريك له " وفي الأجناب " بسم ا ضرب هذا الدينار.. في بلد كذا " وفي الوجه الآخر في الوسط " ا أحد ا الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وحولها في الأجناب " محمد رسول ا أرسله بالهدي ودين الحق ولو كره المشركون " وكانت الكتابة بالخط الكوفي.

الفصل الأخير

ولاة مصر

أول ولاة مصر بعد الغزو العربي عمرو العاص وقضي أربعه سنين واشهر.

ثم ولي بعده عبد ا أبى السرح.. ولاّه عثمان عفان وكان كاتبا للنبي عدل وبدل في كثير من الآيات.

ولي بعده قيس سعد عبادة الأنصاري ولاّه علي مصر علي أبى طالب وكان شديد الولاء له إلا أن معاوية تآمر عليه ووشي به عند علي مدعيا أنه يتعاطف مع مجموعة من الخارجين ضده مما دفع به إلى إقالته بعد أن كتب إليه قائلا "أن كنت تتهمني فاعزلني و أرسل غيري" وولي مكانـه الأشـتر مالك الحارث النخعي.

بعد أن ولي الأشتر مصر دس له أعوان معاوية بتحريض منه السم في العسل فقتـل وكـان لمعاوية تعليق ساخر علي موته حيث قال " إن الأشتر حين نزوله عن فرسه دعا ا ان كان دخولـه مصر خيراً فليدخلها وإلا لم يقضي له بدخولها.. فشرب شربة عسل فمات " ولما بلغ " عمرو العاص " خبر موته قال هو الآخر في سخرية أشد " إن جنوداً من العسل " وعلق " علي " في تهكم قـائلا " ولليدين وللفم"

لم يهنأ الأشتر بولاية مصر وخلفه محمد أبى بكر الذي ولاه علي أبى طالب لكن محمد أصـم أذنه عن نصيحة سعد أبى السرح أن يهادن رجال معاوية في " خربتا " فتعقبهم واضطهدهم مما أسفر عن فتنة هائلة انتهت بقدوم عمرو العاص في جيش كبير واقتتل العرب يوم "المـسناة " صـفر سـنة ٣٨هـ قتالا شديداً وصفة عمرو قائلا " شهدت أربعة وعشرين زحفا لم أر يوماً كيوم المسناة ولـم أر الأبطال إلا يومها " وقتل محمد أبى بكر وحرق داخل جيفة حمار واستمر في ولايته خمسة أشـهر.. في هذه المعركة.. معركة المسناة التي حارب العرب المسلمين بعضهم البعض يثور سؤال من كـان الشهيد ومن كان مثواه النار؟!

وليها عمرو العاص وكانت ولايته الثانية عليها من قبل معاوية.. في هذه الفترة شهد التـاريخ أحداثا جساما والناس تبحث عن مخرج لإنهاء الحرب الأهلية بين علي ومعاوية بالتخاص مـن تلـك القيادات ولم ينجح يزيد في قتل عمرو وقتل بدلا منه "خارجة حذافة العدوى" قائد الشرطة ظنا منه أنه عمرو.. وعندما وافت عمرو المنية طلب من ابنه عبد ا ان يكفنه في ثلاثة أثواب ويشق له الأرض ويغطيه بالتراب ثم شرع يقول " اللهم إني أمرت بأمور ونهيت عن أمور فتركنا كثيرا مما أمرت بـه ووقعنا في كثير مما نهيت عنه اللهم لا اله إلا أنت ولم يزل يرددها حتى قضي نحبه.

ولي مصر بعدها عتبة أبى سفيان شقيق معاوية وتوفي بالإسكندرية.

ثم وليها " عتبة عامر " من قبل معاوية وكان صاحب الشهباء بغلة الرسول التي يقودهـا فـي الأسفار.. هكذا وصل الحال بالمصريين أن يتولى أمرها مكاري الذي هو أقل درجة من عر بجـي!! لكن لم يستمر طويلا فقد عزله معاوية وولي " مسلمة مخلد الأنصاري " مكانه و أثناء ولايتـه مـات معاوية وخلفة يزيد الذي بايعه وظل في ولايته خمسة عشر سنة و أربعة اشهر وتوفي فـي سـنة ٦٠ هـ.

تولي بعده "سعيد يزيد الأزدي" حتى توفي يزيد معاوية ٦٤هـ واستمر في ولايته ما يقرب من السنتين.

تولي " عبد الرحمن عتبة جحدم " الولاية في شعبان سنة ٦٤ هـ بعد أن قدم إلى مصر مـع مجموعه من الخوارج واستطاعوا تنحية سعيد يزيد عن الولاية و أثناء ولايته بويع " مروان الحكـم " خليفة للمسلمين في الشام وكان ذلك سنه ٦٤ هـ ولم يبايعه أبن جحدم فسار مروان إلى مـصر فـي جيشه والتقي بابن جحدم في معركة قتل فيها و أقام مروان في مصر شهرين عاد بعدها إلى الشام بعد أن ولي ابنه عبد العزيز علي مصر.

تولي عبد العزيز أمر مصر سنة ٦٥ هـ وبعد موت أبيه مروان تولي عبد الملك الخلافة ٦٧ هـ الذي أبقاه في الولاية ولما انتشر وباء الطاعون في مصر سنة ٧٠ هـ ذهب عبد العزيـز إلـى حلوان هربا من الوباء واتخذها مسكنا وبني فيها العمائر واستمرت ولايته عشرين عاما وعشرة اشهر وكانت أطول مدة لحاكم في مصر باستثناء ولاية مبارك التي تعدت الخمس وعشرين عاما.

وليها بعده "عبد ا عبد الملك مروان " من قبل ابيه عبد الملك ولـم يتعـدي عمـره سـبعة وعشرين عاما ولما مات أبيه الخليفة وخلفه الوليد ابنه وشقيق عبد ا ابقي عليه في ولايـة مـصر.. وفي ولايته ارتفعت الأسعار إلى الضعف واستعمل اللغة العربية في الدواوين وكانت ولايتـه عـشرة أشهر.

ثم وليها قرة شريك العبسي وخرج عبد ا من مصر إلى الأردن بكل ما يملك فلما بلغ الأردن تلقاه رسل الوليد فاستولوا علي أمواله.. وفي عهد قرة جدد في المسجد الجامع.. وكان يشيد المـسجد في النهار فإذا أتى الليل

يجمع اتباعه في المسجد يشربون الخمر ويمرحون مع الراقصات والغواني وكان يقول " لنـا الليل ولهم النهار وتوفي سنة٩٦ هـ وقبل أن يموت استخلف "عبـد الملـك رفاعـة " علـي المـال والشرطة.

بعد أن تولي " عبد الملك رفاعة " ولاية مصر مات الوليد وخلفه عمر عبد العزيز الذي عزل عبد الملك رفاعة وعين مكانه " أيوب شرحبيل " و أثناء ولايته أرسل إليه عمر عبـد العزيـز أمـرا بتحريم الخمر وتحطيم الحانات وحظر ارتياد النساء الحمامات العمومية ورفع مرتبات موظفي الديوان إلا أن أيوب لم يستمر طويلا فقد وافته المنية سنة ١٠١ هـ أي بعد سنتين ونصف من بدء ولايته

بعد وفاته تولي الإمارة " بشر صفوان " من قبل يزيد عبد الملك - الخليفة الجديد بعد مـوت عمر عبد العزيز لكن ما لبث أن إقاله وعين بدلا منه "حنظلة صفوان" كما أصدر أمرا بإلغـاء زيـادة مرتبات موظفي الديوان وفي سنة ١٠٤ أصدر يزيد أمرا بتحطيم كل تماثيل الكنائس وكانت مجـزرة مثل مجزرة طالبان لتماثيل نادرة.

وبعد أن توفي يزيد وخلفه هشام عبد الملك أقال حنظلة وعين بدلا منه محمد لكن لـم تـستمر ولايته اكثر من شهر لخلافه مع الخليفة حول تسيير بعض أمور مصر ويعزى السبب إلى أن محمـد قال للخليفة عندما طلب منه أن يتولى أمر مصر " أجل إنى لها علي أنك إن أمرتني بخـلاف الحـق تركتها ".

تولي بعده " الحر يوسف " ولاه هشام عبد الملك.. الذي زاد علي كل دينار جزية قيراطا ممـا أدى إلى ثورة عارمة لكن نشأ خلاف بين الحر والقائم علي الخراج الذي انحاز له هشام له فقدم الحر استقالته من الولاية وقبل هشام استقالته وكان ذلك سنة ١٠٨ هـ.

بعدها تولي حفص الولاية لكن لم يستمر سوى أسبوعين فقط أقاله بعدها هشام وعـين عبـد الملك رفاعة الذي ما لبث أن مات وخلفة أخوه "الوليد رفاعة ".

في ولاية " الوليد رفاعة " بنيت كنيسة " الأنبا مينا " بالحمراء فغضب " وهيـب اليحـصبي " اليمني وحاول قتل الوليد لكنه قتل فقامت إمرأة وهيب بتحريض حفظة القرآن علي الوليد وقد حلقـت شعرها.. لكنه قضي عليهم جميعا.. وتوفي الوليد سنة ١١٧ هـ أي بعد سبعة سنين وخمس شهور.

تولي مصر بعده " عبد الرحمن خالد " من قبل هشام لكن سرعان ما عزله لأنه سمح لـبعض أسر الروم بالإقامة في مصر وولي مكانه "حنظلة صفوان" واستمرت ولايته سبعه أشهر وبضعة أيام.

بعد أن تولي حنظلة أمر مصر وكانت ولايته الثانية ثار عليه قبط الـصعيد وحـاربوه وبعـد خمسة سنين وثلاثة اشهر ولي الخليفة هشام أمر مصر "لحفص الوليد" بعد أن عين حنظلة أميرا علـي أفريقية.

في أثناء تولي حفص ولاية مصر توفي هشام وخلفة " الوليد اليزيد عبد الملك " الذي اسـتبقاه في الولاية لكن بعد موت اليزيد وخلافة " محمد مروان الحكم " قدم حفص استقالته فقبلها محمد مروان واستخاف بعده " حسان عتاهية " الذي خفض مرتبات الجند فثاروا عليه وخطبوا في مـساجد مـصر ودعوا لخلع " مروان " الخليفة.. وحاصروا حسان في بيته وطلبوا منه الرحيل ثم أعادوا حفص مكرها إلى ولاية مصر.. إلا أن مروان غضب من هذا الانقلاب وعين حنظلة صفوان وقد عاد من أفريقيـة فلم يقبل المصريون ولايته وطردوه من الفسطاط إلى الحوف الشرقي ولم يستمر حفص فـي منـصبة سوى عام واحد أقاله بعده مروان وولي أمر مصر " لحوثرة بن سهيل " فاجتمع المواطنـون بحفـص وطلبوا منه التصدي لحوثرة وجيشه القادم من الشام لكنه رفض رغم هذا فقد قتله حوثرة مع انه كتب له عهدا بالأمان وفي سنة ١٣١ هـ قتل حوثرة في معركة بالعراق.

بعدها تولي أمر مصر " المغيرة عبد ا الفزاري " ولاه مروان وكان عطوفا بالناس محببا إلى نفوسهم لكنه مات متأثرا بموت ابنه فولي العسكر مكانه "عبد ا عبد الرحمن حديج" لكن مروان لـم يؤيد هذا الترشيح وولي مكانه "عبد الملك مروان موسى نصير" وفي عهده تفجرت ثـورة "يـوحنس" بسمنود.. وانتصر العباسيون في واقعة الزاب والتقي العباسيون بقيادة "صالح علي عباس" و "أبو عون عبد الملك يزيد" بجيش مروان في أبو صير شرقية وقتل مروان وكبار رجال بني أمية ودخل " صالح علي " الفسطاط الأحد ثمانية محرم سنة ١٣٣هـ وبعث راس مروان محمد إلى العـراق وبعـد هـذا التاريخ انتهت الدولية الأموية بلا رجعة.

ولي أمر مصر "صالح علي" من قبل أبى العباس السفاح الذي أسر الوالي السابق "عبد المـلك مروان موسى" كعبرة مع غيره من كبار رجال الدولة وسجنهم ومنهم "حسان" أحد الـولاة الأمـويين السابقين الأمويين وبعد أن ضربه بالسياط سأله أأستبقيك فإجابة قائلا " ما في البقاء خير بعـد هـذا " فضرب عنقة.

تولي أبو عون عبد الملك يزيد " إمارة مصر بعد أن رحل صالح إلى فلسطين واليا عليهـا.. وفي هذه الفترة انتشر وباء الطاعون فارتحل أبو عون إلى الصعيد هربا من الوباء ثم عـاد بعـد أن انحسر المرض وأخمد ثورة "أبى مينا" القبطي ثم أمر الخليفة بعودة صالح علي إلى ولايـة مـصر و ضم لها فلسطين وأفريقية كما أرسل جيشا إلى المغرب لطرد الأمويين.. لكن أبا العباس السفاح تـوفي سنة ١٣٦ هـ وخلفه أبا جعفر المنصور فأيد ولاية "صالح علي ".

ولي أبو عون مصر ولاه إياها صالح علي ولم يوافق الخليفة المنصور علي هـذا التنـصيب فعزل أبى عون وعينه علي الأردن وعين " موسى كعب " واليا علي مصر لكن لم تستمر ولايته سوى سبعة شهور عزله بعدها المنصور متعللا بالحرص علي حياته بعد أن تنبأ " نوبخت " كبيـر منجميـه بمقتله وكان المنصور يؤمن إيمانا راسخا بالتنبؤ.. حيث قال له "أني عزلتك من غيـر سـخط ولكـن بلغني أن عاملا يقتل بمصر اسمه موسى وكرهت أن تكون هو" وهذا لا شك خرافات..

ثم ولي المنصور بعد موسى " محمد الأشعث " الخزاعي الذي استمرت ولايته سـنة وشـهراً وعزله المنصور وولي مكانه "حميد قحطبه " فدخل مصر بعشرين ألف جندي لكن المنصور غـضب عليه وأقاله وعين مكانه " يزيد حاتم المهلبي " الذي حدثت فتنة في عهدة نهب الناس خلالها بيت المال لكن استطاع يزيد أن يخمدها وفي عهده ثار القبط ثورة عارمة واستطاع أيضا أن يقضي عليها رغـم هذا فقد عزله المنصور وعين بدلا منه " عبد ا عبد الرحمن حديج " الذي قضي نحبه.

تولي بعده شقيقه "محمد عبد الرحمن" ولاية مصر ومات أيضا ليخلفه " موسى علـي ربـاح " وظل موسى واليا حتى بعد موت الخليفة المنصور وتقلد المهدي مهام الخلافة.. لكنه عزله.

تولي الولاية بعده " عيسي لقمان " سنة ١٦٢ هـ ثم عزله الخليفة وولي "واضح" لكن سرعان ما أقالة وعين مكانه " أبو صالح يحيي داود " وكان أبو صالح هذا تركي الأصل قوى الشكيمة استطاع بحكمته وحنكته إحلال السلام و الأمان في ربوع مصر للدرجة التي كانت تفتح المحلات ليـل نهـار دون حراسة وكانت له قوله مأثورة " من ضاع له شئ فعلي أداؤه " إلا أن المهدي إقالة في محرم سنة ١٦٤ هـ.

تولي بعده " سالم سواده " التميمى الذي لم يستمر طويلا فأقاله الخليفة ووضع مكانه " إبراهيم صالح علي " العباسي وفي عهدة ثار عليه " دحية " الأموي الأصل الذي تمكن من الاسـتيلاء علـي الصعيد ونتيجة لتراخيه في الحفاظ علي أمن البلاد عزله الخليفة وعين مكانـه " موسـى مـصعب " فضاعف من ضريبة الأطيان وفرض ضريبة علي الأسواق والدواب ورشي القضاة.. فثار عليه أهـل الحوف بمصر وقتلوه بعد أن تخلي جنوده عنه واستمرت ولايته عشرة أشهر.

توعد الخليفة " المهدي " قاتليه إلا أن القدر لم يمهله فمات هو الآخر قبل أن ينفذ تهديده ولكن " الهادي " الذي استخلف أخيه المهدي في الخلافة استمر علي سياسة أخيه في التصدي لأهـل الحـوف الذين قتلوا موسى مصعب فقام بتعيين " الفضل صالح علي " علي ولاية مصر الذي حارب " دحيـة " أحد المتمردين وقتله ورغم ما حققه من انتصارات إلا أن الهادي أقاله وعين بدلا منه "علي سـليمان" العباسي لكن ما لبث أن مات الخليفة " الهادي " وخلفة هرون الرشيد الذي طلب من " علي سـليمان "

الاستمرار في ولايته لمصر وفي عهده منع الخمور وأغلق مجال اللهو وهدم كثيرا من الكنائس ومنها كنيسة مريم إلا أن طموحاته في الخلافة عجلت بنهايته فقد أقاله الرشيد من منصبة وولي بدلا منـه " موسى عيسى " الذي انتهج سياسة مخالفة لسياسة سلفه فسمح للأقباط ببناء الكنائس التي تم هـدمها و أقاله هرون الرشيد بدون سبب واضح وعين مكانه " مسلمة يحيي " ثم " محمد زهير الأزدي " الـذي اتصف بالجبن والتردد عندما تقاعس عن الدفاع ضد الجند " القديريه " لما قبـضوا علـي صـاحب الخراج وصلبوه مطالبين بمرتباتهم.. أقيل محمد زهير وتولي بعده " داود يزيد " المهلبي الذي اخـرج جند "القديرية" من الفسطاط إلى البحر فأسرهم الروم بعدها تولي مصر " موسى عيسى " للمرة الثانية ثم أقيل وحل مكانة " إبراهيم صالح " الولاية الثانية ولم يستمر سوى شهرين فقط ووافته المنية.. تـم تولي " عبد ا المسيب " وبعده تولي " اسحق سليمان " الذي زاد في ضريبة الأطيان زيـادة مجحفـة فخرج أهل الحوف ثائرين عليه واستطاعوا هزيمته إلا انه كتب لهرون الرشيد طالبا النجدة فأرسل له جيشا كبيرا بقيادة "هرثمة " فاستسلم المصريون ودفعوا الضريبة صاغرين بعدها تولي هرثمة ولايـة مصر إلا انه لم يستمر سوى شهرين سار بعدها إلى أفريقيا وحل محله " عبد ا صالح " العباسي لكنه لم يدخل مصر فكان أول والي يتولى أمر مصر دون أن يدخلها ثم خلفه "عبد ا المهدي " ثم " عيسى موسى " وكانت هذه ثالث ولاية له.

ثم "عبد ا المهدي" وهي ولايته الثانية ثم من بعده "إسماعيل صالح" ثم "إسـماعيل عيـسى " وبعده " الليث الفضل " وفي عهده امتنع المصريون عن دفع ضريبة الأطيان بعد أن رفـع شـريحتها فحاربهم وانتصروا عليه في البداية إلا انه استطاع الصمود أمام جحافلهم وهزمهم في النهاية.. وإقاله هارون الرشيد وأحل مكانه " أحمد إسماعيل " ومن بعده "عبد ا محمد " ثم "الحسين جميل" وفي عهده انتشر قطاع الطرق واللصوص ثم مالك الذي قبض علي رؤوس أهل الحـوف بخدعـة حـوارهم و أرسلهم إلى الرشيد ومن بعده " الحسن التختاخ " الذي عزله الأمين وكان قد خاف أباه الرشيد لـسوء إدراته لأمور الأهالي ومن بعده تولي " حاتم هرثمة أعين " وهو ابن هرثمة فقدم مـصر بـألف مـن أبنائه.. ألف وليس عشرة أو مائة!! وعندما نزل بلبيس تصالح معه أهل الحوف وتعهدوا بدفع الخراج لكن لم يمضي وقت طويل حتى ثار عليه بعض أهالي الوجه البحري لكنه قمعهم و أقيل من الولايـة سنة ١٩٥ هـ فتولي من بعده " جابر الأشعث " وكان محبوبا من الناس وله شعبية كبيـرة لكـن لـم يستمر كثيرا في ولايته فقد خلعه منها جنده بعد أن انعقدت البيعة للمأمون بدلا من أخيه الأمين الـذي كان يدين له الاشعث بالولاء وتولي بعده "عباد محمد" نصبه الخليفة المأمون واليا علي مـصر فقاتـل أهل الحوف ولكن عباد أعفي من الولاية بعد سنة وسبعة اشهر بعدها تولي مصر "المطلب عبـد ا " الخزاعي لكن لم يستمر طويلا فقد إقاله المأمون في شوال ١٩٨ هـ ثم تولي بعـده أمـارة مـصر "

العباس موسى عيسى " وكان قاسيا شديد البأس مخادعا فثار الناس عليه ودعوا " بالمطلب عبـد ا " واليا وقام الجند بتنصيبه ومات العباس مقتولا بالسم فهب أخوة عبد ا للانتقام من القتلة وسـار إلـى مصر بجيش كبير حتى وصل الجيزة وحارب عبد المطلب الذي استسلم في مقابل تأمين حياته ومن ثم خرج من مصر إلى مكة ثم تولي مصر " السري الحكم " لكنه لم يهنأ وقتا طويلاً بالمنـصب بعـد أن عزله أهل خراسان ولم تمضي علي ولايته ستة شهور.

تولي بعده " سليمان غالب جبريل " نصبه الجند واليا لكن سرعان مـا تمـرد عليـه الجنـود وخلعوه فولي المأمون " السري الحكم " للمرة الثانية وكان مسجونا فحرره من سجنه وقلـده وظيفتـه وظلت ولايته ثلاثة سنين وتسعة أشهر وبضعة أيام وبعد أن مات تولي ابنه " أبو نصر " الولاية وفـي عهده قسمت ولاية مصر بينه وبين " علي عبد العزيز الجروى " فحكم الجروي أسـفل مـصر مـع الحوف الشرقي أما باقي مصر فقد خضعت لحكم أبو نصر.. ولما توفي هذا الأخير بعد أربعة عـشر شهرا تولي بعده " عبيد ا السري " بعد أن بايعه الجند لكن المأمون لم يرقه تنصيب عبيد ا السري واليا علي مصر فأقاله وعين بدلا منه " الخالد يزيد " و أرسله لمصر في جيش جرار لكن عبيد رفض التسليم لخالد بالولاية و حاربه وانتصر عليه و أسره وأرسله مكرما إلى الخليفة المأمون لكن المأمون أرسل "عبد ا طاهر" لحرب عبيد الذي عقد معه صلحا بموجبه أمن إبن طاهر إبن عبيد ا الـسري علي ماله وخلع عليه مكافأة عشرة آلاف دينار.

استتب الأمر لعبد ا طاهر وسار إلى الإسكندرية فدخلها ثم توجه بعد ذلك إلى العراق وكانت مدة ولايته سبعه عشر شهرا وعشرة أيام.. بعدها تولي " عيسى يزيد " أمر مصر سنة ٢٣هـ لكنـه زاد في الخراج فثار عليه أسفل الأرض " أهل الدلتا " وحاربهم عيسى يزيد لكنهم هزموه ولم ينج من رجاله سواه ثم تولي " عمير الوليد " الذي حارب أهل الحوف وهزمهم لكنهم اعدوا له كمينا قتلوه فيه ولم يكمل في ولايته ستون يوما.

تولي بعده " عيسى يزيد " ولايته الثانية فسار إلى أهل الحوف وقاتلهم بمنية مطر ثـم عـاود قتالهم في " النويرة " وانهزم.

تولي عبدويه جبلة " أمر مصر وما لبث ان أقيل وحل مكانه "عيسى منصور " الـذي أسـاء موظفيه معاملة الناس فثاروا عليه مسلمين وقبط وعلي رأسهم "ابن عبدوس " من نسل " عقبة نـافع " والتقت الجيوش.. جيوش الثوار و الوالي واستسلم الثوار فأمر الخليفة بقتـل الرجـال وبيـع النـساء والأطفال بعدها غادر " عيسى منصور " مصر تاركا خلفه " كيدر " ليحكم مصر ومات كيـدر بعـد سنتين من خلافته فتولي " مظفر " ابنه و أمر مظفر بالتكبير بعد صلاة الجمعة وهو أول والي يفعـل ذلك.

ثم تولي " موسى أبى العباس " وكانت مدة ولايته أربعه سنين وتسعه اشهر خلفه " مالك ابـن كيدر " ولم تعمر ولايته سوى سنتين.

ثم تولي "علي يحيي" الأرمني من قبل الخليفة " هرون الواثق با " وكان ذلك سنة ٢٢٨ هـ.

ثم تولي بعده " عيسى منصور " ولايته الثانية الذي قبض علي يحيي الأرمني ثم أطلق سراحه وظل عيسى في ولايته إلى سنة ٢٣٣ هـ.

ثم تولي " هرثمة النضر الجبلي "وقبل أن يموت استخلف ابنه حاتم الذي تـولي أمـر مـصر شهراً واحد ومن بعده علي يحيي الأرمني "كلاكيت" ثاني مرة.

بعده تولي " اسحق يحيي معاذ " من قبل المنتصر ولي عهد الخليفة المتوكل أبيه.

بعدها تولي " خوط عبد الواحد يحيي " من قبل المنتصر لكن أقيل سنة ٢٣٨ من الولاية.

تولي " عنبسة اسحق " أمر مصر.. ولاه المنتصر فرفع الظلم عن الناس ورسخ العدل بيـنهم وفي عهده هاجمت جنود الروم دمياط وقتلوا الأهالي وسبوا النساء والأطفال لكنـه هربـوا قبـل أن يدركهم عنبسة..

وفي سنة ٢٤٤هـ أقاله المنتصر وعين مكانة " يزيد عبد ا " التركي الأصل فـأمر بـاخرج المخنثين من مصر وضربهم ونفاهم ومنع النداء علي الجنائز وفي أيام يزيد ثار جابر الوليد وقاتل جند يزيد وانتصر عليهم في " الكريون " وفي "صا" فانضم إليه كثرة من العـرب المـسلمين والنـصارى والنوبيين فعظم أمره فبعث الخليفة من العراق " مزاحم خاقان " ليساند يزيد فتقدم في جيش كثير العدد وهاجم جابر واخمدا الفتنة و قتل يزيد وبعد موته في سنة ٢٥٤ هـ استحلف ابنه احمد الذي مات هو الأخر ثم تولي أمر مصر أزجور.. و أثناء ولايته ثار عليه "بُغا الأكبر " وهو أحد العلويين لكنه مات قبل ان يهاجمه أجور وبعد مرور خمسة شهور عزله الخليفة المعز وأحل مكانـه " احمـد طولـون " وكانت هذه بداية الدولة الطولونيه سنة ٢٥٤ هـ.

هدفنا من هذا السرد أن نوضح للقارئ ونحن نذكر أسماء الولاة الذين حكموا مصر ماذا فعـل هؤلاء بمصر فقد كان كل همهم سلب ثروات البلد.. هدفنا كذلك أن نستظهر ماذا كـان عليـه حـال مصر.. فقد كانت ساحة للحروب بين الأطياف المختلفة.. علوين وأمويين وعباسـيين ومـصريين.. وكان العرب المسلمين يضطهدون الأقباط لدفعهم للتخلي عن ديانتهم.. أوصدوا أمـامهم كـل أبـواب الرزق والوظائف العامة و أغلقت مدارسهم وزادت عليهم الضرائب فكانت النتيجـة الحتميـة الإذلال والهوان فضلا عما يلاقيه أصحاب الدين المسيحي من تعاليم قاسية تمنعه من حرية الانفـصال عـن زوجة يكرهها وتكرهه تحولت التعاليم الكنسية إلى قيود أو غاية بغض النظـر عـن تحقيـق سـعادة

الإنسان فكانت النتيجة الحتمية لذلك اندماج القبط في جسد الأمة الإسلامية الوليدة فتحولوا إلى الـدين الإسلامي وتعلموا لغته وساعد علي ذلك سرعة تغيير الولاة وثورات المصريين ضد الـولاة العـرب والتفرقة العنصرية المشينة بين المسلمين والقبط بل بين المسلمين العرب وبين المسلمين المـصريين.. وتغير الولاة ليس سوى صوره من صور الفساد وذلك أن تغيير الوالي يدفعه إلى اسـتغلال الـسلطة للإفساد والفساد مكونا ثروات هائلة لذلك فلم يكن غريبا أن يكون عدد ولاة الأمويين واحـد وثلاثـين واليا أي نسبة واحد كل ثلاث سنين وفي عصر العباسيين بلغ أربعة وسبعين أي بنسبة واحد كل سـنة ونصف..

المراجع

- ابن الأثير.
- فتح الطيب.
- كتاب البخلاء.
- سراج الملوك علي هامش مقدمة بن خلدون.
- الإمامة والسياسة لابن قتيبيه.
- سراج الملوك علي هامش مقدمة بن خلدون.
- تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان.
- كشف الظنون.
- البيان والتين.
- المقريزي.
- الأغاني للأصفهاني.
- ابن أياس.
- أخبار مصر.
- الملل والنحل للشهر سنائي.
- الفصل في الملل والاجواء والنحل لابن حزم.
- روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر.
- ابن خلدون.
- الفخري.
- العقد الفريد.